حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد إبريل – يونيو ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

طاعون جستنيان في الغرب الأوربي خلال القرن السادس الميلادي ومردوده الاجتماعي والاقتصادي والليتورجي

خالد عبد البديع رضوان محمود*

كلية الاداب جامعة سوهاج قسم التاريخ
Elhawi78@yahoo.com

المستخلص:

تُلقي هذه الدراسة الضوء على الأثر الذي خلّفه طاعون جستنيان في مجتمع غرب أوربا خلال القرن السادس الميلادي. وتحاول الدراسة البحث في الواقع الاجتماعي والديني للغرب الأوربي ومدى ارتباطه بالوباء. وتتناول الأثر المباشر وغير المباشر للوباء على الأسواق والتجارة في عالم البحر المتوسط وطرقه التجارية، وذلك في حقبة شهدت زوال عصر الإمبراطورية الرومانية الغربية أو الدولة المركزية بمفهومها القديم، وبزوغ فجر عالمين جديدين: العالم البيزنطي ذو البعد اليوناني شرقًا، والعالم الجرماني اللاتيني غربًا.

الكلمات المفتاحية: طاعون جستنيان- الغرب الجرماني- التجارة- البحر المتوسط.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

أهمية الدراسة:

كان طاعون جستنيان أول جائحة عظيمة أصابت أوربا في العصور الوسطى[١]. ورغم أن مبتدأه كان سنة ٥٤١م إلا أنَّ لواحقه – كما يرى بعض الباحثين- تتابعت إلى سنة ٧٥٠م، أي أكثر من قرنين من الزمان[٢]. ومع أن أقدم دراسة قامت على هذا الوباء ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي[٣]، غير أنّه لا زال يُحيّر الباحثين في مختلف التخصصات، حول منشئه وأعراضه وكيفية تنقله، وعدد الموتى الذين خلّفهم. ودراسته تُعدُّ من أصعب ما يواجه المشتغل بالبحث التاريخي؛ لأنَّه يحاول تقديم الوباء بوصفه مؤثرًا اقتصاديًا واجتماعيًا ودينيًا وحتى سياسيًا وعسكريًا وقانونيًا، ويُحوّله تدريجيًا إلى كائن حي يتحرك ويجول، ويُرخي ظلاله على مناحي المجتمعات الإنسانية[٤].

ويُمكن القول أن دراسة هذا الوباء لا تنفك تتجدّد باستمرار، والبحث فيه لا زال يُفاجئنا بجديد[٥]، سيّما وقد خضع مؤخرًا للتقنيات العلمية الحديثة، وانطلق منذ العام ٢٠٠١م في ثلاثة اتجاهات: التاريخ، وعلم الآثار، وعلم الوراثة[٦]. على أنّ الدراسات التي تزايدت عنه أحدثت - من وجهٍ آخر -صدعًا بين العمل التطبيقي والعمل الإنساني، مما جعلها تخرج أحيانًا من بوتقة التاريخ، وتدخل في مجالات علومٍ أخرى، مثل: الطب والأحياء وعلم الآثار الجزيئي[٧].

ومع ظهور ما يُعرف بالفِرق العلمية تطورت أكثر دراسات الطاعون الجستنياني؛ فتم إجراء فحوص (RNA وDNA وPCR) على الجزيئات الحيوية المستخرجة من بقايا الهياكل العظمية البشرية والحيوانية، التي تعود إلى القرن السادس[٨]. وأجرى فريقٌ هذه الفحوص على رُفات أموات في مدينة مارسيليا، بحثًا عن بكتريا يرسينيا بيستيس Yersinia Pestis العُصيَّة Bacillus المُسببة للطاعون[٩]. وتوصل فريق آخر في العام ٢٠٠٥م إلى وجود البكتريا نفسها في مقابر عُثر عليها في مقاطعة بافاريا العليا بألمانيا، ترجع إلى القرن السادس الميلادي[١٠]، في الوقت الذي لم يُشر أي مصدر تاريخي إلى بلوغ الطاعون هذه الناحية. ومن هنا بات التقدّم في الطب الحيوي أمرًا مفيدًا لتتبع موجات طاعون جستنيان ومعرفة آثارها[١١]، وازدحم مضمار البحث عن هذا الوباء بأصحاب التخصصات العلمية خارج إطار البحث التاريخي، وتطرَّف عدد من هؤلاء في أحكامهم، فأقاموها على أساس ميداني تجريبي، وأداروا في سبيلها ظهورهم للمصادر التاريخية[١٢]، مما زاد مَهمَّة بحثهم صعوبة ومُجازفة.

ويحاول الباحث من خلال هذه الدراسة معالجة بعض الإشكاليات عن الوباء منها:

١. هل كان طاعون جستنيان ظاهرة محدودة التأثير على التاريخ العام للغرب الجرماني؟
٢. هل كان له تأثيرٌ ديموغرافيٌ على المجتمع الجرماني في غرب أوربا؟
٣. هل ترك أثرًا في عالم البحر المتوسط وتجارته خلال القرن السادس الميلادي؟
٤. كيف كان مردوده الليتورجي على الغرب الجرماني خلال القرن السادس؟

المقدّمة: اندلاع الوباء في ضوء المصادر الشرقية.

جاءت المصادر الشرقية بالأنباء الأولى عن اندلاع طاعون جستنيان وتفشيه. فيذكر بروكوبيوس القيصري Procopius أن البداية كانت في صيف عام ٥٤١م، وأن الشرارة الأولى للوباء اشتعلت في ميناء بيلوزيوم Pelusium (الفرما) بمصر[١٣]. ويضع يوحنا مالالاس Malalas البداية بين سنتي ٥٤١- ٥٤٢م، متحدثًا بوجهٍ عام عن انطلاق الطاعون من مصر[١٤]. وجعل إيفاجريوس Evagrius بدايته سنة ٥٤١م، حين أشار إلى أن الوباء اندلع بعد استيلاء الفرس على أنطاكية بعامين، أي عامين بعد سنة ٥٣٩م. ولكن إيفاجريوس أعلن أن مجيء الوباء كان من أثيوبيا[١٥]. وقد ورد في التاريخ المنسوب إلى زكريا الميتليني (البليغ) Zachariah of Mitylene أن الوباء انطلق من مصر وأثيوبيا معًا، مع عدم تحديد تاريخ لانطلاقه[١٦]. وأمّا يوحنا الأفسيسي John of Ephesus - الذي قدّم رواية تفصيلية لأعراض الوباء وانتشاره- فقد جاء بروايتين عن تاريخ ومحل بداية الوباء؛ ففي كتابه عن حيوات القديسين الشرقيين ذكر أن الوباء اندلع في العام ٨٥٣م من التقويم الإغريقي (أي بين سنتي ٥٤١/ ٥٤٢م) [١٧]، وفي تاريخه الكنسي - الذي نقل الزوقنيني فصول منه- يذكر أن الوباء انطلق بين سنتي ٥٤٣/ ٥٤٤م، ويُحدد لبدايته مدينة الإسكندرية[١٨]. وذكر محبوب المنبجي - الذي عاش في القرن العاشر الميلادي- أن الوباء اندلع في العام السادس عشر من حكم جستنيان أي بين سنتي ٥٤٢/ ٥٤٣م، ولم يُحدد محل بدايته[١٩]. بينما أشارت حولية سعرد (في القرن الحادي عشر الميلادي) إلى أن الوباء بدأ في السنة العاشرة من حكم الملك الفارسي خسرو الأول (٥٣١- ٥٧٩م) أي بين عامي ٥٤٠/ ٥٤١م[٢٠]. وأكّد ابن العبري أن مبتدأ الوباء كان في العام الرابع عشر من حكم جستنيان، أي عام ٥٤١م[٢١]. وذكر ميخائيل السرياني أن البداية كانت بين عامي ٥٤٢/ ٥٤٣م، مؤكّدًا على نقله المعلومة عن يوحنا الأفسيسي، وأشار إلى أنّ الوباء انطلق من جنوب شرق الهند وبلاد اليمن وحمير حتى بلغ مصر[٢٢].

وقد تناول الكثيرون هذه الروايات بالنقاش، ولم يقطع واحدٌ منهم برأي حول منشأ الطاعون، بيد أنهم أجمعوا على أنه نفذ من البحر الأحمر إلى مصر، عبر قوافل التجارة[٢٣]، ومنها زحف في العام ٥٤١م شرقًا وغربًا مُساحلاً البحر المتوسط؛ فبلغ الإسكندرية، في

الوقت الذي ضرب غزّة وبرَّ فلسطين، ثم بيروت وأنطاكية[٢٤]، وواصل طريقه غربًا حتى أدركَ القسطنطينية في آخر العام ٥٤١م، أو في ربيع العام الذي يليه[٢٥].

وبمراجعة روايات المصادر الشرقية عن أعراض الطاعون نجد أنّ جُلّها قد بسط أوصافًا تفصيلية، بلغت من التهويل حدّ البشاعة[٢٦]. على أنّ بروكوبيوس بما اتّسم به – في كتابه الحروب- من الدقة والعقلانية يجيء وصفه لهذه الأعراض أكثر قبولًا ومعقولية، فيذكر أنّها تبدأ بحُمى مفاجئة، قد تمتد يومًا أو يومين، قبل أن تظهر أورام إربية (دبيلية) Bubonic[٢٧] في جسد المريض أسفل البطن أو في أصل الفخذ، وأحيانًا أسفل الإبط وخلف الأذنين، وقد تنتشر في مواضع مختلفة حول الرقبة وفي الفخذين. ويُعاني المريض أيامًا من الحُمّى، وقد يُصاب بالهذيان أو يسقط في غيبوبة، ويموت في غضون أيام، ولكّنه إذا بقي حيًّا فقد يُشفى. وقد تحدّث بروكوبيوس – ويوحنا الأفسيسي أيضًا- عن أعراض أخرى ظهرت في بعض المصابين، بثورًا سوداء بحجم حبّات العدس تنتشر في جسد المريض الذي لا يتوقف عن القيء، ولاحظ أن هذه الأعراض إذا ظهرت فإنّها تُؤدي إلى الوفاة على الفور[٢٨].

وقد شجّعت إفادة بروكوبيوس بعض الباحثين على الظن أنّ الوباء تطور إلى طاعون دموي، كما أن آخرين زعموا أن الوباء ربما تطور إلى طاعون رئوي[٢٩]، مستندين على شرح مبالغ فيه لـ يوحنا الأفسيسي وإفاجريوس عن انتشار العدوى[٣٠]. وقد أخذ هذا الأمر حيّزًا من الجدال، لدرجة أضجرت المؤرخ بيرجرين هوردن Horden فذهب إلى إن طاعون جستنيان هو ما وصفه المُصابون به في حينه، ولا أكثر[٣١].

وبمراجعة المصادر الشرقية نجد مُبالغة واضحة في حديثها عن وفيّات القسطنطينية خلال ثلاث سنوات من بداية الطاعون أي بين سنتي ٥٤١- ٥٤٤م، فذكر بروكوبيوس أن عدد الموتى في القسطنطينية بدأ بخمسة آلاف في اليوم الواحد، ثم وصل إلى عشرة آلاف[٣٢]. في حين ارتفع يوحنا الأفسيسي بهذه الأعداد، فجعلها ست عشرة ألفًا في اليوم الواحد، وأحصى عدد الذي فُقدوا من العاصمة خلال السنوات الثلاث من مئتي ألف وثلاثين إلى ثلاثمئة ألف[٣٣]. وصعد ميخائيل السرياني بالوفيّات إلى ثمانية عشر ألفًا في اليوم الواحد، وأجملها في السنوات الثلاث بثلاثمئة ألف[٣٤].

والحقيقة أن هذه الروايات لا يُمكن قبولها على المطلق لعدة اعتبارات أهمها:

١- أسهبت هذه المصادر في وصف أعراض الوباء ووفيّاته، غير أنّها لم تُفسّر علّة ظهوره. ما جعل هذا الأمر رهنًا باجتهاد الباحثين، الذين بحثوا عن السبب في نواقل البكتريا المُسببة له مثل: القوارض والبراغيث[٣٥].

٢- أشارت هذه المصادر إلى انتقال الوباء عبر سواحل البحر المتوسط، غير أنّها لم تربط بينه وبين الشحنات المنقولة على ظهر السفن[٣٦]، التي تصلح سكنًا لنواقل الوباء.

٣- غلبت على روايات هذه المصادر القصص الخرافية، مثل: رؤية الأشباح والشياطين التي عدّوها السبب الرئيس في اندلاع الوباء[٣٧].

٤- لم تتناول هذه المصادر إلا نادرًا جهود الأطباء في علاج المرضى التي لا شك كانت جهودًا حثيثة[٣٨]، ميّزت الشرق البيزنطي المعروف بتقدّمه الطبي عن الغرب الجرماني.

وقد نهض عددٌ من الباحثين للدفاع عن المصادر الأدبية، مثل: ليستر ليتل Little[٣٩] الذي أكّد: "أنّه رغم التطورات المخبرية الواعدة، تظل المصادر السردية الأداة الأبرز للمؤرخين". واتفق معه في هذا ديونسيوس ستاتاكوبولوس Stathakopoulos[٤٠] وميشا ماير Meier[٤١]، ومايكل موروني Morony الذي اعتمد في دراسة أجراها عن الوباء على المصادر السردية فقط[٤٢]. كما تحمّس بعض المؤرخين إلى قبول أرقام الوفيّات التي وردت في المصادر، مثل جوزيا راسيل Russell الذي ذهب إلى أن الطاعون على المدى البعيد أفنى نصف سكان الإمبراطورية البيزنطية[٤٣]. وفي السياق نفسه أجرى توماس هولنجسوورث Hollingsworth عملية حسابية لأموات القسطنطينية خلال الموجة الطاعونية الأولى، خلص منها إلى أنّهم بلغوا مئتين وأربعة وأربعين ألفًا، في الوقت الذي كان عدد قاطنيها قبل الطاعون خمسمئة ألف وثمانية[٤٤]، أي أن هذا الوباء ذهب بنصف سكانها تقريبًا. وقد قبلت بهذا الرقم بولين ألين Allen، رغم أنّها قلّصت إجمالي سكان القسطنطينية قبل مجيء الوباء إلى أربعمئة ألف[٤٥]، وكذا أفريل كاميرون Cameron، التي لم تنكر على المصادر تعدادها الكارثي للوفيّات[٤٦].

بيد أن بعض المُتخصصين في العلوم التطبيقية مثل روبرت بولتزر Pollitzer وروبرت سالاريس Sallares رفضوا قبول روايات المصادر عن وفيّات الطاعون، وارتابوا في تشخيصها للمرض، حيث حذّروا من الخلط بين الطاعون وغيره من الأمراض ذات الأعراض المُشابهة، مثل: التيفوس والملاريا والتهاب السحايا، وعليه قضوا بجزافية تعداد المصادر للوفيّات، وأن أمراض أخرى قد شاركت الطاعون في حمل إثمها[٤٧]. كما أقبل عددٌ من المؤرخين المحدثين يُهاجمون المصادر الشرقية مثل: جان دورليا Durliat[٤٨] وبطرس ساريس Sarris[٤٩] وهيو كينيدي Kennedy[٥٠] وجو هيز Hays[٥١]، وأعلنوا أنّها في باب الأوبئة لا

تستطيع منافسة العلوم التطبيقية الحديثة، وارتابوا في رواياتها وعدّوها محض نصوص أدبية، جنح أصحابها إلى المُبالغة لإظهار عِظم الخطب، ولاستدرار مشاعر جموع المسيحيين، وتشجيعهم على إظهار الندم والتوبة والزهد في الدنيا والقُربى من القدير.

من ذلك: تبنّى فريقٌ من الباحثين التوجه الآثاري البيولوجي لدراسة الطاعون، وأدار ظهره لروايات المصادر التاريخية، جاعلًا من التنقيبات والحفريات مصدرًا له. ومضى أفرادُه يُفتشون عن المقابر التي ترجع إلى القرن السادس[٥٢]، وبلغ بهم الهوس أن أي مقبرة جماعية، وأي عظام للجرذان السوداء Rattus Rattus- ناقلة الطاعون- إنما تُعدّ في نظرهم دليلًا على وجود الوباء[٥٣]، رُغم أن الدفن الجماعي كان عادة معروفة في المجتمعات الحضرية الأوربّية[٥٤].

الغرب الجرماني وسوسيولوجيا الوباء.

طَرَقَ طاعون جستنيان أبواب الغرب الأوربي بعد قليل من اندلاعه في الشرق؛ فيُقرر بروكوبيوس أنّه زار - بعد القسطنطينية- جميع بلاد البرابرة[٥٥]. وجاء في صِلة كتاب ماركيلينوس Marcellinus أن الوباء ظهر في الليريا وإيطاليا عام ٥٤٣م[٥٦]. وتشي رواية كوريّبوس Corippus الأفريقي أن مطرقة الوباء ضربت شمال أفريقيا في العام نفسه[٥٧]. وتُلمحُ رواية فكتور التونسي Victor Tunnunensis إلى أن المصيبة حلّت قبل ذلك بقليل[٥٨]. وتُضيف الإخبارية المنسوبة إلى زكريا الميتليني صقلية وغالة إلى ما سبق من بُلدان، حيث ورد أن الوباء ضربهما بالتزامن مع إيطاليا وشمال أفريقيا، وأشارت إلى أنه أهلك البشر والماشية[٥٩]. أما ميخائيل السرياني فأضاف إسبانيا إلى إيطاليا وغالة[٦٠].

والمُلاحظ أن هذه المصادر لم تتوسع في الحديث عن موجة الوباء الأولى في الغرب الأوربي، مما يُشير إلى أنّ تأثيره كان محدودًا. ويُؤكدُ هذا كل من جاك لوغوف Le Goff وجان نويل بيرابان Biraben وإفريل كاميرون Cameron بقولهم: "إن تأثير الوباء في القسم الغربي من البحر المتوسط كان محدودًا، مُقارنة بتأثيره في القسم الشرقي[٦١].

وعلى أيَّة حال لا يمكن الاتفاق أو الاختلاف مع هذه الآراء دون مراجعة روايات المصادر الغربية وتحليلها، ودون إلقاء نظرة فاحصة على المجتمعات الجرمانية في الغرب الأوربي تزامنًا مع موجات الوباء. وأفضل من تحدَّثَ عن انتشار الطاعون في غرب أوربا كان جريجوري التوري Grégoire de Tours[٦٢]، فذكر خلال تناوله الحوادث بين سنتي ٥٤٤- ٥٥١م: "أن الطاعون المُسمى (الإربي) inguinaire أصاب مدينة آرل Arles، حتى خلت من السكان[٦٣]". وبتحليل هذه الرواية يتضح أن الوباء طرَق غالة من جنوبها أي من البحر المتوسط. على أن إشارة جريجوري إلى خلو المدينة لا تعني بالضرورة أن سكانها قد فنوا جرّاء الطاعون، كما يذهب دُعاة التأثير الديموغرافي، وإنما الراجح أنّهم رحلوا عن المدينة إلى حين انتهاء الجائحة. وقد عُرِفَ هذا الأمر بوصفه إجراءً احترازيًا في الغرب الأوربي، كما سوف نرى بعد قليل.

في غضون ذلك تفشّى الوباء في إيرلندة بين سنتي ٥٤٤- ٥٤٥م، وهو الذي ورد في حولية أولستر Ulster باسم "بليفيد" Blefed[٦٤]. وثمَّة من يظن أن هذا الوباء هو نفسه طاعون جستنيان، وأن بكتيريا عدواه كانت تسكن السفن التجارية التي نقلت بضائعها إلى إيرلندة عبر السواحل الأطلسية[٦٥]. وربما أصاب الطاعون وقتها بريطانيا، يُشجّع على هذا الظن قربها من الشواطئ الإيرلندية، على أن تأثيره هناك كان محدودًا للدرجة التي لم تلفت انتباه الإخباريين[٦٦].

لم يلبث أن عاد الطاعون إلى الظهور بالأقاليم الجنوبية لغرب أوربا، فأحاط سنة ٥٦٩م بإيطاليا[٦٧]. ويبدو أنه انتقل من هناك إلى غالة، حيث يصف جريجوري التوري أحداث سنة ٥٧٠م بقوله: "أصاب البلاء مدينة أوفرن Auvergne، وسقط ضحيةً له عددٌ من الناس، للدرجة التي لم يُمكن لأحد إحصائهم. فلم تكفِ التوابيت والألواح الخشبية لحمل الموتى، ولذلك أُودِعَ عشرة أموات وربما أكثر في لحدٍ واحد. وكان في بعض أيام الآحاد أن سُجّي في باحة كنيسة سان بطرس – بالمدينة ذاتها - ثلاثمئة جثة. وقد عاود هذا الوباء مدينة "أوفرن" في العام التالي، وشمل عدوانه مدن ليون Lyon وبورج Bourges وشالون Chalone وديجون Dijon[٦٨]". ويُلاحظ أن جريجوري في هذا النص لم يُحدّد طبيعة الوباء، بعكس مرويته السابقة. على أن أوصافه لأعراض المرض تُشير إلى الطاعون الإربي، حيث يذكر أن المصاب كان يلحق به ما يُشبه عضة الثعبان، تظهر في أصل الفخذ أو في الإبط، ويتوفى بعدها بثلاثة أيام[٦٩]. وتؤكد بولين ألين Allen مع دانيل ريف Reff أن هذا المرض كان أحد توابع طاعون جستنيان[٧٠].

وقد تشجَّع هاذان برواية مختصرة وردت في حولية "ماريوس الأفينشي" Marius d'Avenches يقول فيها: "استشرى في سنة ٥٧٠م وباءٌ خطير، كانت علاماته ظهور بثرات على الجلد، وقيء وإفرازات معوية. وقد أهلك هذا الوباء أفواجًا من البشر في إيطاليا وغالة، وأدّى إلى نفوق الماشية أيضًا. ويقصُّ ماريوس الأمر نفسه في أحداث سنة ٥٧١م: "ظهر مرضٌ مُروع يُسبب انتشار البثرات في الجسم، وقد أدّى إلى مقتل أعدادٍ مهولة من البشر"[٧١]. ورغم ذلك لا يُمكن بذل الثقة في أن هذه الأوصاف تنطبق على الطاعون، كونها تُشبه أعراض أمراضٍ أخرى كالتيفوس مثلًا.

وبالعودة إلى جريجوري نجده يتحدَّث عن الوباء الذي أصاب مدينة ناربونة Narbonne في آخر سنة ٥٨٠م، ويطرح عليه صفات الطاعون الإربي. ويُضيف أنه ظلَّ يضرب هذه المدينة ثلاثة أعوام تالية، وأنه بلغ مدينتي ألبي Albi ونانت Nantes التي

أصاب أسقفها[٧٢]. ثم امتد تأثيره شمالًا حتى مدينتي ريمس (رانس) Reims وتريير Trier[٧٣]. ويُرجّح المؤرخ كوليكوفسكي Kulikowski أنَّ هذا الطاعون ضرب إسبانيا بحكم أن مدينة ناربونة كانت تنتمي وقتئذٍ إلى مملكة القوط الغربيين[٧٤]. ويظنُّ آخرون أنَّه قصد إلى إيرلندة، من خلال الطريق التجاري على ساحل الأطلسي[٧٥].

ويتابع جريجوري التوري حديثه فيقول: "إنّ الوباء ضرب سنة ٥٨٨م مدينة مارسيليا Marseille، وانتشر إلى حدود مقاطعة ليون Lyon حتى بلغ قرية تُدعى أوزون Ozon (Saint-Symphorien-d'Ozon)[٧٦]. ويُفصّل لظهوره على النحو التالي: "جاءت سفينة من إسبانيا، تحمل البضائع المُعتادة، ورست في ميناء مارسيليا، فاشترى الناسُ من سلعها التي كانت لسوء الطالع تحمل بذرة البلاء. وسرعان ما تفشى بينهم المرض، ثم ما لبث أن عمَّ المدينة كلها. وكان الناس إذا ظنّوا أنه اختفى عاد وطرقهم مجددًا، حتى ابتليت به مارسيليا في مناسبات لاحقة"[٧٧]. ويُلاحظ من هذا النّص أن مقدم الوباء كان من إسبانيا، وأن جريجوري لم يُصرّحُ بأنه الطاعون الإربي. ومع ذلك عدَّت بولين ألين Allen ومعها دانيل ريف Reff هذا المرض أحد توابع الطاعون الجستنياني[٧٨].

ثم يذكر "التوري" أن الطاعون الإربي أصاب مدينتي أفينون Avignon وفيفيير Vivière بين سنتي ٥٩٠- ٥٩١م[٧٩]. ويبدو أنَّه تسرب هذه المرّة من إيطاليا، حيث كان قد ضرب روما سنة ٥٩٠م[٨٠]، وأهلك البابا بيلاجيوس الثاني Pelagius (٥٧٩- ٥٩٠م) في ٧ فبراير من العام نفسه[٨١]. على أن جريجوري يُعاود الغموض ثانية بقوله إن الوباء – وليس الطاعون الإربي- عمَّ مدينة مارسيليا[٨٢]، ثم يُشير في سنة ٥٩١م إلى مجاعات خطيرة صاحبت الطاعون في مُدُن أنجيه Angers ونانت ولومان Le Mans[٨٣]. ورغم أن بولين ألين أصرّت على رأيها بأن كل الأوبئة التي أشار إليها التوري إنما هي من لواحق جائحة جستنيان، غير أن الظن يذهب بنا إلى أنَّه كان يُميز في مروياته بين الطاعون الإربي والأمراض الأخرى التي اعتادها الغرب الأوربي في نسخته الجرمانية[٨٤].

وقد وصف بولس الشماس Paul diacre أيضًا الطاعون، فتناول – بصورة مبالغ فيها- خمس موجات من تفشيه في إيطاليا؛ وقع أولها في مقاطعة ليجوريا Ligurie بين سنتي ٥٦٥- ٥٦٩م[٨٥]، وثانيها في روما سنة ٥٩٠م[٨٦]. وثالثها في سنة ٥٩٣م التي خصَّ بها بولس مدن رافنا Ravenne وجرادو Grado وإستريا Istrie[٨٧]. ورابعها في سنتي ٥٩٨- ٥٩٩م أصابت رافنا وفيرونا Verone[٨٨]، والخامسة جاءت متأخرة في سنة ٦٨٠م[٨٩]. وقد أغفل بولس موجة أصابت إيطاليا في سنتي ٥٩٩- ٦٠٠م، التي تحدّث عنها البابا جريجوري الكبير[٩٠]. على أنّه مما يلفت الانتباه إشارة بولس إلى أن الناس كان يهجرون منازلهم تجنبًا للإصابة بالمرض، فبقيت بيوتهم ردحًا من الزمن خرابًا، تعوي فيها الكلاب[٩١]، وفي هذه الإشارة دلالة على أنّ خلو المدن من السكان لا يعني بالضرورة موتهم جرّاء الوباء، وإنما قد يكون إجراء احترازي تجنبًا لتفشي العدوى.

مما تقدّمَ نرى أنَّ المصادر الغربية لم تُسعفنا بشروح وافية عن ماهيّة الوباء وأصله وطرق انتشاره والعدوى التي يُسببها، وهي أمورٌ بالغة الأهمية لأنّها تُساعد على تتبع عواقبه في الغرب الأوربي[٩٢]. وتُمكننا من الربط بين اندلاع هذا الوباء وانتشاره والبيئة الاجتماعية والمادية التي كانت ماثلة قبل اندلاعه، ما يُتيحُ لنا أن نفهم على نحوٍ أفضل مردوده الاجتماعي، وتأثيراته الاقتصادية والجيوسياسية[٩٣]، ولذلك تبقى هذه الأمور رهنًا بأقلام الباحثين.

كان شارل ديل Diehl أول من تبنّى فكرة أن الطاعون ترك آثارا ديموغرافية سلبية على عالم البحر المتوسط في القرن السادس[٩٤]. وقد أيّد هانز زنسر Zinsser هذا التوجّه[٩٥]. وسار على هديهما هنري سيجرست Sigerist[٩٦] وفابيان هيرست Hirst[٩٧] اللذان شرحا أن الطاعون لم يذهب بملايين البشر من سكان البحر المتوسط وحسب، وإنما أنهى الحياة الحضرية في الغرب الأوربي، وساعد على بروز مفاهيم جديدة اجتماعية واقتصادية وسياسية تناسب الشخصية الجرمانية. وذلك حسب رأيهما أدخل الغرب الأوربي في العصور الوسطى المُظلمة، وساعد على بروز الإمبراطورية البيزنطية داخل حدودها الشرقية الضيقة. وتبنّى مايكل دولز Dols الرأي نفسه مُعلّقًا: "أن طاعون جستنيان ساعد على زوال الحضارة الكلاسيكية، وساهم بطريقٍ مباشر في تشكيل أنماطٍ سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة للأوربيين في العصور الوسطى"[٩٨].

وهذه الآراء دفعت كايل هاربر Harper إلى القول: "إن نهاية العالم الكلاسيكي وتآكله كان بسبب الأوبئة وتقلّب المناخ، وأن طاعون جستنيان كان حدثًا صنع حقبة العصور الوسطى[٩٩]". وهذا يُعدّ ولا شك رأيًا مُتطرّفًا، شجّعه على تبنيه أن البعض اتّخذ من عامل الاستيطان البشري Human settlement معيارًا للأثر الديموغرافي الذي تركه الطاعون[١٠٠]. فالمواضع التي شهدت تجمعات سكانية في الغرب والشمال الأوربيين، يزعم أنها هُجرت خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين تحت ضغط هذا الوباء[١٠١]، رُغم أن دراسة سابقة رفضت هذا الطرح؛ إذ لم يُقرَنْ بالدلائل والبراهين[١٠٢].

وقد كان جوزيا راسيل Russell من أهم المناصرين لفكرة الأثر الديموغرافي لطاعون جستنيان؛ فأكد أن هذا الوباء أدّى إلى انحدار بشري depopulation واضح بين سكان البحر المتوسط، حيث أنقص تعدادهم بنسبة تتراوح من٥٠% إلى ٦٠%، وعدَّه

سببًا لانتقال الغرب الأوربي من العصر البيزنطي إلى العصر الكارولنجي[١٠٣]. ووافقه على هذا كل من لوغوف Le Goff وبيرابان Biraben اللذين زعما أن الطاعون أثر على بنية المجتمع الغربي، فعدّاه ظاهرة نفسية ديموغرافية، أفضت إلى تناقص سكاني مهول بين القرنين السادس والسابع الميلاديين[١٠٤]. وطرحا- متناغمين مع توجّه راسيل- فرضيتين للنقاش: أولاهما: أن هذا الوباء ساعد على انتقال السلطة المركزية في الغرب الأوربي من الجنوب المتاخم لسواحل المتوسط إلى الشمال، ضاربين المثل بغالة التي كان القسم الشمالي منها بمنأى عن المرض، على عكس جنوبها وشرقها. وثانيهما: أن هذا الوباء بتأثيره الديموغرافي الواضح مهّدَ إلى ظهور اللمبارديين والبربر والسلاف في القرن السادس[١٠٥]. على أن بيرابان رفض فرضية راسل في تعميم الطاعون الجستنياني بوصفه ظاهرة أوربية، وقصره فقط على عالم البحر المتوسط[١٠٦].

وقد سار في طريق هؤلاء: وليام مكنيل McNeill[١٠٧]، وروبرت جوتفريد Gottfried[١٠٨] وجيمس إيفانز Evans وبولين آلين Allen وولفرام براندیس Brandes الذين سلّموا بالتأثير الديموغرافي للطاعون على سواحل البحر المتوسط[١٠٩]. ووليام روزن Rosen الذي رجّحَ أن ضحايا هذا الوباء بلغوا بين القرنين السادس والثامن الميلاديين مئة مليون نسمة[١١٠]. وأيد فرضية الانحدار السكاني جون ليبشويتز Liebeschuetz ورونالد فندلاي Findlay وماتس لوندال Lundahl[١١١]، الذين اتخذوا من الأوبئة اللاحقة على الطاعون الجستنياني معيارًا للحكم عليه. وأيضًا بيرجرين هوردن Horden الذي يرى أن نسبة ٢٠% إلى ٣٠% من سكان عالم البحر المتوسط قد فنوا جرّاء الطاعون[١١٢]. وكذلك يوحنا أنطونيو Antoniou وأناستاسيوس سيناكوس Sinakos رغم أنّهما خفّضا هذه النسبة إلى العُشر[١١٣].

ويُلاحظ أن هؤلاء الباحثين – من دُعاة التأثير الديموغرافي- قد فرضوا نسب الوفيات حسب قناعاتهم عن طبيعة الوباء، فإذا رأوه طاعونًا رئويًا جعلوا وفياته أكثر، وإذا كان دمليًا جعلوها أقل، ولذلك يجب ألاّ نعول كثيرًا على إحصاءاتهم. ويكفي تعليق إيزنبرج/ موردخاي: "أن هذه الإحصاءات تزداد تباينًا، مع الإغراق في التخمينات[١١٤]". كما يُعاب عليهم أنّهم اتّخذوا من وفيات وباء الموت الأسود (١٣٤٧- ١٣٥١م) وموجاته اللاحقة التي أصابت الغرب الأوربي سبيلًا لفرض الإحصاءات على وفيات طاعون جستنيان. وهذا الأمر لم يكن صائبًا، أو على حد تعبير ديك هاريسون Harrison: "طريقة سيئة لبناء الفرضيات"[١١٥]. فليس من الممكن استخلاص أدّلةٍ من الأوبئة الأحدث وفرضها على الأقدم منها؛ لاختلاف الظروف والبيئات ووسائل النقل وأساليب العيش وطُرُق البناء[١١٦].

وقد رفض ديونيسيوس ستاتاكوبولوس Stathakopoulos قبول هذه الإحصاءات، وحذَّرَ من استخدام عامل فردي جزيئي كطاعون جستنيان بوصفه سببًا للوثبة من العصور الكلاسيكية إلى العصور الوسطى. ويرى - ومعه ميشا ماير Meier- أن هذا الوباء كان عاملاً مؤثرًا بين عوامل أخرى أنتجت هذا التغير التاريخي[١١٧]. ولا يُمكن رفض هذه الآراء العقلانية، فلا جدال أن الانتقال إلى العصور الوسطى المُبكرة حدث نتيجة تطور موضوعي طويل المدى، ساعدت عليه عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية وإيديولوجية وأخلاقية[١١٨].

هنا يجد الباحث نفسه منحازًا إلى طرح جان دورليا Durliat الذي يُخالف آراء الفريق المتشائم حول آثار الطاعون؛ فرفض وجهة نظر "راسيل" التي تجعل من هذا الوباء محورًا لوثبة الغرب الأوربي من العصر البيزنطي إلى العصر الكارولنجي، واعتبر الحقب التاريخية بين الحدثين نهرًا متواصلًا. وبدلًا من أن يضع نظرية تُفسر الانتقال بين العصرين، عمد إلى تفكيك الرؤية العامة، والبحث عن الأسباب في تخصصات فرعية دقيقة خارج التأصيل التاريخي؛ فنظر في علم الآثار وتاريخ الفن والنقوش، وعلم المسكوكات والحفريات[١١٩]. وعلى هذا الأساس لم يرَ "دورليا" في طاعون جستنيان مُسبِّبًا لانحدارٍ ديموغرافي[١٢٠]. وقد أيَّد هذا الطرح كل من كليف فوس Foss وهيو كينيدي Kennedy[١٢١]. كذلك لم يرَ دورليا في هذا الوباء ظاهرةً خطيرة تساعد على الانتقال بين العصرين البيزنطي والكارولنجي، وعلّق أنه من المستحيل إيجاد مرآة ثابتة تعكس لنا تفاصيل تأثير الطاعون[١٢٢]. وقد سايره في هذا لورانس كونراد Conrad[١٢٣]، ومارك ويتو Whittow[١٢٤] وكريس ويكهام Wickham[١٢٥]، في الوقت الذي تحفظ جون هالدون Haldon على هذا التوجّه، ولم يطرح رأيًا بديلًا[١٢٦].

وبوجهٍ عام لا يمكن اعتبار الطاعون الجستنياني أزمة إيكولوجية أو جائحة عامة شملت الغرب الأوربي، ومن ثمَّ لا يجب تعميم حكمٍ أو تفسيرٍ عن أثره الديموغرافي من خلال حركات الاستيطان في التخوم الشمالية للغرب الأوربي أو في أقاليمه الجنوبية حول سواحل البحر المتوسط؛ إذ يصدف أنّه في الإقليم الواحد قد يضرب الطاعون بعضه، ويترك بعضه الآخر، مثلما وقع في غالة وإسبانيا. فكلما كان الموضع بعيدًا عن الساحل ولا يجاور أنهارًا تجارية، كان بعيدًا عن غائلة الطاعون.

وقد نهض المؤرخ ديك هاريسون Harrison للرد على أصحاب فرضية الاستيطان البشري بوصفها معيارًا للتأثير الديموغرافي؛ ففنّدها موضحًا أنها وليدة الظنون. وشرح أنه من الخطأ مُجرد ظن الآثاريين أن الأوبئة كانت سبب الانقطاع الاستيطاني. وذهب إلى أن الأثر الديموغرافي الذي تركه الطاعون في الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من أوربا، إنما هو تأثير سطحي[١٢٧]. وقد بنّى

"هاريسون" طرحه على أفكار العلّامة الدنماركي كلاوس راندسبورج Randsborg الذي يعتبر الحقبة من القرن الرابع إلى القرن العاشر بمثابة مدٍ وجزر في المجتمعات الغربية، التي شهدت تطورين جذريين: أولهما: التنمية الاجتماعية للقبائل الجرمانية، وظهور ممالك لها في الغرب الأوربي. وثانيهما: انتكاسة إدارة الأسواق بعد زوال الدولة المركزية. ويرى أنَّ الطابع الجرماني قد فرض على الغرب الأوربي في القرن السادس مفاهيمًا اقتصادية واجتماعية تتوافق مع بيئة زراعية رعوية وليست حضرية كما كان مشهودًا في القرون السابقة، ولذلك لا يتجاوز طاعون جستنيان والأوبئة الأخرى في نظره أكثر من ظواهر فردية[١٢٨].

ورغم أن هاريسون عاب على راندسبورج تعميم حكمه على الأثر الديموغرافي، وأنه لم يُحلل جزيئيًا بعض الحالات الاجتماعية في الأقاليم المشرفة على البحر المتوسط، التي تأثرت يقينًا بالطاعون، فإنه لا يرفض على المجمل وجهة نظره[١٢٩]. ويذهب إلى أن تباين حركات الاستيطان والأثر الديموغرافي لا يجيء بالضرورة بوصفه رد فعل للطاعون وحده، بل تسببه عوامل أخرى أهمها: الحروب والفيضانات والزلازل[١٣٠].

وأكّدَ وجهة النظر ذاتها باحث التاريخ والآثاري النرويجي "إنجار جوندرسن" Gundersen في طرحه الذي يعتمد على التمهيد للأزمات، فتشكك في كون طاعون جستنيان سببًا للأزمة السكانية في سواحل شمال أوربا. وذكر أن الأمر يعوزه بحث أكثر تعمقًا في علوم: الآثار والطب الحيوي والأوبئة Epidemiology[١٣١]. وسلك طريق الشك نفسه النرويجيان "ستينار سولهيم" Solheim وفرود إفرسين Iversen حول التأثير الديموغرافي للطاعون الجستنياني في مجتمعات شمال أوربا[١٣٢].

نتيجة لما سبق قلّل عددٌ من المؤرخين من خطورة الأثر الديموغرافي لطاعون جستنيان؛ فيجزم جو هيز Hays أنه لا يُمكن للوباء مهما كانت خطورته أن يُهلك نسبة تتراوح بين ١٠% إلى ١٥% من عدد سكان أي مجتمع عمراني[١٣٣]. ويتّفقُ المؤرخ نفسه مع روبرت سالاريس Sallares على أن جائحة جستنيان في الغرب الأوربي تدخل ضمن أوبئة أخرى فتكت بالبشر، مثل: التيفوس والملاريا، وأمراض الكوليرا والتيفوئيد والدوزنتاريا والجدري والحصبة، ويرى الاثنان أن الكثافة السكانية أحيانًا كانت تساعد على استشراء هذه الأمراض[١٣٤]. ويُضيف جان شارل سورنيا Sornia أمراضًا أخرى كانت تفتك بالبشر، بعضها قد ينتج عن المجاعة أو سوء التغذية[١٣٥]، وعليه يؤكّدُ روبرت ماركوس Markus أن الطاعون لم يكن أكثر من مُساهمٍ مع غيره من الكوارث التي شهدها الغرب الجرماني في التحولات الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن السادس[١٣٦]. ويخلص إيزنبرج Eisenberg وموردخاي Mordechai إلى أن الآثار التي خلّفها الوباء كانت محلية ومحدودة، ولم تُفض إلى انهيار بشري هائل أو إلى نهاية العصور الكلاسيكية[١٣٧]. وأضافا في دراسة حديثة لهما - مع آخرين- أن المصادر التي بالغت في أعداد وفيات الطاعون إنما كان لأصحابها أغراضٌ شخصية وسياسية وأيديولوجية، جعلتهم يُقدّمون الوباء في صورة كارثية مرعبة، ولذلك رفض موردخاي وشركاؤه فرضية الانحدار السكاني[١٣٨].

والحقيقة أن آثار طاعون جستنيان في الغرب الأوربي لا يكفي إخضاعها إلى التفسيرات السوسيولوجية، كما يذهب البعض[١٣٩]، وليس من السهل أيضًا إخضاعها لتفسير أو حكم تاريخي عام؛ لأن الغرب الأوربي في القرن السادس لم يدن لمتوالية كرونولوجية منتظمة، وأقاليمه كانت تحكمها ظروفٌ وأسبابٌ جعلت كل واحد منها يختلف عن غيره. وذلك جاء نتيجة لعوامل ترتبط بالتغير البيئي من ناحية، ولحروبٍ ونزوح بشري نجما عن الهجرات الجرمانية Volkenuanderungen من ناحية أخرى[١٤٠]، مما يقودنا إلى القول إن القرن السادس مثّلَ حقبة فاصلة، أنتجت الإمبراطورية البيزنطية شرقًا والممالك الجرمانية غربًا، ويقودنا أيضًا إلى استنتاج أن تغيرات مجتمعات الغرب الأوربي كانت نتاجًا طبيعيًا لهذا التحول التاريخي، ولم تكن وليدة لطاعون جستنيان. وعلى ذلك فإنَّ تراجع الأنظمة الزراعية أو تخلفها إذا جاز القول[١٤١]، والاختلاف في طُرز الأبنية التي شهدها القرن السادس إنما يُشيران إلى مفاهيم جديدة سايرت نهوض الممالك الجرمانية من جهة، ووتيرة التنصير في الغرب الأوربي من جهةٍ أخرى. وقد تناول وارد بيركنز Ward- Perkins هذه الناحية بشرح مستفيض، وأفادنا بخلاصة: أن النمو السكاني واصل طريقه، ولكن في مسارات ثقافية مختلفة[١٤٢].

وفيما يخصُّ التحولات الاستيطانية في الغرب الأوربي يمكن القول أنّها جاءت نتيجة مباشرة لجرمنة هذا الغرب Germanisation لا لطاعون جستنيان؛ فإيطاليا مثلاً منذ الربع الأخير للقرن الخامس كانت نهبًا للحروب والنزاعات، وزاد من سوء أحوالها الحروب التي خاضها الإمبراطور جستنيان لاستردادها من أيدي القوط الشرقيين في القرن السادس، ثم جاء الغزو اللمباردي ليقضي على البقية الباقية من استقرارها[١٤٣]. وكان من نتيجة ذلك أن تغير نمط الاستيطان البشري وهجر الناس الحواضر ليُقيموا قُراهم على تلال تقيهم ويلات الحروب. وبات الجنوب الإيطالي ذو الطابع الريفي يمتاز تدريجيًا عن شطره الشمالي الذي سلك مسلكًا تجاريًا[١٤٤].

وقد أصبح هذا الطابع الاستيطاني واقعًا ملموسًا في المساحة الممتدة من غالة إلى وسط ألمانيا. وعليه لم يختف البشر، بل هم ببساطة انتقلوا من مساكنهم القديمة حيث المدن ذات الإدارات المركزية، إلى مساكن جديدة في قُرى زراعية أو رعوية. وإرهاصات

هذا التحول ترجع إلى ما القرن السادس؛ ففي إقليم غالة كان هجران نمط البناء في الحواضر القديمة *Villae* منذ القرن الرابع الميلادي، واتخاذ أنماطٍ أخرى للاستيطان أمرًا حتميًا[١٤٥]. وربما هذا يُفسر ظهور الغابات في مواضع كانت تُستزرع قديمًا، مثلما حدث في أراضي نهر الراين والتخوم الشمالية من الغرب الأوربي[١٤٦]، وعليه لم يختفِ البشر ولكن غيروا نمط معيشتهم وسكناهم[١٤٧]. ومُحرّكات هذا التغيير كانت أعمق وأخطر من طاعون جستنيان، بل أن مؤرخ مثل ليستر "ليتل" Little يُشكك في إمكانية معرفة أثر الوباء على المتغيرات الاستيطانية بالغرب الأوربي في القرن السادس، يقول: "إذا أردنا تتبع هجرة السكان بداعي المرض، فيجب دراسة المساكن والمباني العامة، والأسواق والبُنى التحتية للنقل، وأنظمة إمدادات المياه، وطُرُق التخلص من النفايات. ويُضيف: "أنه من الصعب فحص هذه الأشياء لإصدار حكم صارم على الطاعون"[١٤٨]. ومؤرخ آخر هو برنارد باكراه Bachrach يُشكك في دراسة له أن يكون لطاعون جستنيان أثرٌ استيطاني طويل المدى في غالة[١٤٩].

وعلى هذا الأساس يُمكن الردّ أيضًا على الذين يفحصون مقابر القرن السادس، ويتخذون منها - إذا كانت جماعية- دليلًا على وجود الطاعون، يُمكن الرد بأنها كانت طُرقًا جديدة للدفن، ولا أكثر[١٥٠]. وهذا يُساير توجّه فريقٍ من العلماء؛ فتذكر بوني إفروس Effros: أن الساعي وراء أدلة في مقابر غالة يواجه مشكلتين: الأولى أن طُرُق الدفن كانت مختلفة بين الجرمان والبلديين أصحاب الأرض. والثانية: أن غالة الميروفنجية لم تكن كيانًا سياسيًا واجتماعيًا واحدًا منسجمًا[١٥١]. وقد أيّد جي هالسال Halsall هذا القول[١٥٢]. وكذلك باتريك بيرن Perin وميشيل كازانسكي Kazanski[١٥٣]. وسايره جون هالدون ولي موردخاي Mordechai وآخرون؛ فقللوا من خطورة الطاعون الجستنياني، وجزموا بأن المدافن الجماعية لا تُشير بالضرورة إلى الإصابة بهذا الوباء، ولا تؤكد عمومية انتشاره في القارة الأوربية، وطرحوا اعتبارات أخرى للدفن الجماعي: ثقافية واجتماعية[١٥٤].

وفي إسبانيا يمكن تطبيق الحكم نفسه فيما يخص الناحية السكانية، فلم يؤدِ الطاعون إلى تغير في طريقة الاستيطان. وحين اختفت المراكز الحضرية القديمة التي كانت ماثلة قبل القرن السادس الميلادي، لم يعن هذا أن البشر قد فنوا، ولكن بتأثير الحروب وانتشار المسيحية تغيرت طُرُق استيطانهم في شبه الجزيرة الإيبيرية[١٥٥]. وكان مع انتشار المسيحية أن تغيرت صورة المباني، وحلّت أبنيةٌ كنسية محل المنشآت المدنية العامة، فظهر القصر الأسقفي، والكنائس والأديرة، وظهرت النُزُل المُسماة اكسينودوكيوم *Xenodochium* التي كانت النواة الأولى للمستشفيات[١٥٦]. وقد رجَّح مايكل كوليكوفسكي Kulikowski أن الطاعون ضرب إسبانيا بعد الموجة الأولى (٥٤٢/ ٥٤٣م) مرتين أخريين (في سنوات ٥٨٤م، ٥٨٨/ ٥٨٩م)[١٥٧]. وحاول الاستدلال على حكمه من العثور على مدافن جماعية في شرقي إسبانيا[١٥٨]. على أنه لم يجرؤ على تأكيد العلاقة بين هذه المدافن والطاعون، موضّحًا أن علم الآثار لا يزال يواجه صعوبة في فرض ترتيب كرونولوجي على آثار إسبانيا بين العصرين الروماني والبيزنطي[١٥٩]، في الوقت الذي لا يجد دعمًا من الروايات السردية، ما يجعل التأريخ للطاعون الجستنياني هناك ليس بالأمر السهل[١٦٠]. ويُقارن المؤرخ نفسه بين التطور البشري قبل مجيء الطاعون وبعده؛ فيوضح أن إسبانيا حتى القرن الخامس كانت تتميز بكثافة سكانية جيدة، ولكن خلال القرنين الخامس والسادس تراجعت هذه الكثافة. ولا يستطيع كوليكوفسكي أن يجزم أن ذلك كان بسبب الجائحة، بل يدفع بأسبابٍ أخرى ترتبط بهجرة الجرمان واشتعال الحروب[١٦١].

وعلى ذلك نرى أنَّ الغرب الأوربي لم يكن مستقرًا مُنظمًا ثريًا على وشك أن يُمزقه الوباء كما صوره أنصار نظرية الانحدار السكاني، وإنما التغيرات الديموغرافية أنشبت أظفارها في جنباته قبل أن يُصافحه الطاعون الجستنياني. وأنَّ القرن السادس في حقيقته إنما كان قرن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي أدخلت الغرب الأوربي إلى العصور الوسطى[١٦٢]. عليه – وإن ثبت التناقص السكاني- فهو لم يكن على الصورة الأدبية السوداوية التي أظهرتها المصادر السردية، ولم يكن بسبب طاعون جستنيان وحده، بل تُضاف إليه الكوارث الأخرى: طبيعية وبشرية[١٦٣]. وأبلغ ما يُوصف به هذا الوباء سوسيولوجيًا أنّه مؤثر فردي، يجب أن يتّصلُ مع غيره من مؤثرات الحياة الاجتماعية بالغرب الأوربي، حتى يُمكن إخضاعه لحكمٍ تاريخي اجتماعي دقيق.

طاعون جستنيان والتجارة: نحو عالم متوسطي جديد؟

بما أن البعض افترض أن الطاعون الجستنياني قد أعقب انحدارًا بشريًا، فهم أيضًا زعموا أنه خلّفَ كوارث اقتصادية. ولا يُمكن بأي صورة الاقتداء بالروايات الشرقية وما ارتبط بها من تحليلات عن كثرة وفيّات الناس، وكساد الأسواق وارتفاع الضرائب وتخفيض قيمة العملة وسن قوانين جديدة تناسب الحال المتردية التي أعقبت الطاعون[١٦٤]، وطرح ذلك كله على الغرب الأوربي؛ فهذه الروايات تحكمها فوارق جغرافية وثقافية واجتماعية ودينية[١٦٥]. ويجب ألا يُنسى أن الشرق الذي التف حول بيزنطة، وبدأ يلتحف بثيابٍ إغريقية، كان يتباين في القرن السادس عن الغرب اللاتيني الذي اصطبغ بالصبغة الجرمانية، والتصقت به صفة البربرية[١٦٦]. هذا الغرب تفككت فيه الطرق التجارية القديمة إلى بؤرٍ إقليمية أصغر[١٦٧]. واتجهت مجتمعاته إلى الأساليب الزراعية البسيطة، واختفت فيه مراكز التصنيع التي كانت من إرث العصور الكلاسيكية، وحلّت مكانها الحرف اليدوية[١٦٨]. وكل هذه التغيرات تُعزى إلى جرمنة الغرب الأوربي وليس إلى طاعون جستنيان[١٦٩].

والمعروف أن سواحل البحر المتوسط كانت متنفسًا للتبادل التجاري بين المجتمعات الجرمانية في إيطاليا وغالة وإسبانيا، وقد انتعشت الحركة التجارية بين هذه الأقاليم حين استولت جيوش جستنيان على الشمال الأفريقي وقوّضت مملكة الوندال[١٧٠]. على أن سواحل هذا البحر نفسه جاءت بالطاعون، ونقلت عدواه إلى الغرب الأوربي، حيث حملته مداخل أنهار الرون والساون واللوار والمارن والراين إلى جوف المجتمعات الجرمانية، فكان يزحف صحبة السفن والمراكب التي تحمل البضائع[١٧١]، ولذلك كانت إفادة المصادر الشرقية دقيقة حين أشارت إلى أن الوباء نفذ من الساحل إلى الداخل[١٧٢].

وقد قبلَ بذلك بيرابان Biraben مؤكّدًا أن هذا الوباء ارتبط بسواحل البحر المتوسط، ومُشككًا في بلوغه التخوم الشمالية حيث شواطئ البلطيق وشبه جزيرة اسكندنافيا[١٧٣]. وقبلَ بذلك فرانسوا بييتر Pieter ولويس سيليريس Cilliers مؤكديْن أن الموانئ المتوسطية الرئيسة كانت مواطن الوباء، ومنها زحف إلى الداخل[١٧٤]. واتفق مع هؤلاء على الأمر نفسه لستر ليتل Little وجو هيز Hays[١٧٥]. ولذلك تبقى حقيقة ماثلة أن هذا الوباء لازَمَ سواحل المتوسط أو قريبًا منها بأميال معدودة.

وبما أن الطاعون الجستنياني كان دُمليًّا، فإنَّه ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالفئران التي تحمل البراغيث، ناقلة المرض[١٧٦]، والتزم بمسيرتها ومسالك ارتحالها، فأينما ذهبت رافقها[١٧٧]. وكانت هناك بضائع تُمثل مخابئ جيدة للفئران، مثل الحبوب والأطعمة المُجففة والصوفان والحبال والسلال والثياب[١٧٨].

وقد كانت مصر والشمال الأفريقي من أهم المواضع التي تُصدّر الحبوب إلى باقي سواحل البحر المتوسط[١٧٩]. وإذا صدقت الروايات السردية فإن الطاعون خرج من مصر وانتشر غربًا، حتى بلغ الشمال الأفريقي، في الوقت الذي وصل القسطنطينية[١٨٠]. من ذلك يُرجّحُ البعض أن الطاعون وصل القسطنطينية من السواحل الأفريقية، عبر السفن الحاملة لشحنات الحبوب[١٨١]، وإذا صحَّ هذا الظن سيكون منطقيًا أن يطرق الوباء أيضًا أبواب المُدن المقابلة للساحل الأفريقي في إيطاليا وغالة[١٨٢]. وعليه يُؤكد البعض أن جذوة الوباء في الغرب الأوربي إنما اشتعلت في ميناء مارسيليا، والحقيقة أن الحوادث اللاحقة حسبما وردت في المصادر تؤيد هذه الطرح[١٨٣]. وعندما تلقت إسبانيا نصيبها من العدوى، كان مناخها فيما يبدو مناسبًا لبقاء الفئران حاملة الطاعون، مما جعلها تتحول إلى موطن لا ينفك يُفرخ موجات الوباء من حين إلى آخر. وربما يؤكّد تضررها من هذا الوباء أن مايكل كوليكوفسكي Kulikowski رصد بعض المحاولات في المجتمع الإسباني خلال القرن السادس رامت ربط العِمالة بالأرض الزراعية[١٨٤]، ولكن لا يُمكن تعميم ذلك بوصفه ظاهرة شمَلت كل إسبانيا.

وبتتبع أثر طاعون جستنيان اقتصاديًا في أقاليم البحر المتوسط نعود إلى الدراسة التي أنجزها جان دورليا Durliat، حيث يُعلن أن الطاعون لم يضرّ باقتصاد الإمبراطورية البيزنطية، ولم يكن له تأثيرٌ على ضرب النقود أو تداولها[١٨٥]. والحقيقة أنه لا مجال للشك في أن بيزنطة كانت الموجّه الأبرز لتجارة البحر المتوسط في القرن السادس[١٨٦]، وما كانت جهود جستنيان لاستعادة هذا البحر بحيرة رومانية، إلا لحيازة روافده التجارية، واسترجاع مصدرًا هامًّا للغلال بإفريقية[١٨٧]. ولم يكن الطاعون أو غيره ليوقف هذا الإمبراطور عن تحقيق هدفه.

وقد حاول بيرجرين هوردن Horden ونيكولاس بورسيل Purcell تحليل علاقة الطاعون بالاقتصاد المتوسطي، فطرحا أسئلة للنقاش: هل كان البحر المتوسط يمر بأزمة في القرن السادس؟ وهل كان الطاعون هو الكارثة الرئيسة التي أحاطت بتجارة هذا البحر؟ وإن لم يظهر الطاعون في هذه الحقبة فهل كانت تجارة هذا البحر سوف تصبح آمنة مزدهرة؟ وقد خلصا من نقاشهما إلى أن الطاعون كان مؤثرًا جزيئيًا قصير المدى في عالم المتوسط، يلتحم مع غيره من المؤثرات التي انتهت إلى تعطيل تجارته تقريبًا في القرن السابع[١٨٨]. وقد أيدهما في ذلك كريس ويكهام Wickham الذي يُشككُ بفرضية التأثير الهائل للطاعون ومردوده على ديناميكية الاقتصاد في البحر المتوسط ويراه أمرًا مُبالغًا فيه[١٨٩]. وروبرت سالاريس Sallares الذي خلص من دراستين له إلى: "أن طاعون جستنيان كان له تأثيرٌ قصير المدى على النشاط الاقتصادي في عالم البحر المتوسط[١٩٠]". وبالمثل يرى لي موردخاي Mordechai أن تفشي هذا الوباء لم يُعطّل خطوط التجارة، مؤكدًا على محدودية تأثيره الاقتصادي[١٩١].

ويمكن القول أنَّ التواصل التجاري لم ينقطع بين أطراف البحر المتوسط رغم اندلاع الوباء؛ فكانت مدينة فالنسيا (بلنسية) في شرق إسبانيا على اتصال تجاري بشمال أفريقيا والولايات الشرقية خلال النصف الأول من القرن السادس، دلَّ على ذلك المعثورات الخزفية التي جُلبت من الشرق إلى هذه المدينة[١٩٢]. وأيضًا وصلت الأدوات الخزفية إلى إيرلندة التي استوردت من شرقي البحر المتوسط أيضًا الحنطة والأقمشة، وحافظت في الوقت نفسه على اتصالها التجاري مع غالة وإسبانيا عبر الأطلسي[١٩٣]. ورغم ذلك يعترض كوليكوفسكي Kulikowski على فرضية انتظام التجارة بين سواحل غرب البحر المتوسط، فيزعم أن التجارة المنتظمة بين إسبانيا وإفريقية توقفت بحلول ستينيات القرن السادس، وأن ورادات الشرق كادت تنقطع عن إسبانيا. ويُلمح إلى أن ذلك مرجعه الانخفاض السكاني وانقطاع الأسواق بسبب الطاعون[١٩٤].

ويُلاحظ أن كوليكوفسكي يُطلق أحكامًا عامة متجاهلًا التفسير الجزيئي لأحوال البحر المتوسط؛ فانقطاع واردات الشرق عن الغرب الأوربي يُعزى إلى ظهور الملكيات الزراعية في الغرب خلال القرن السادس، التي لا يجمعها سوقٌ دولي فعال[١٩٥]. كما أن تغيير النظام السياسي والإداري في الغرب الأوربي كان له دورًا في تراجع أهمية التجارة البحرية؛ فإقليم مثل غالة الذي تجزأ سياسيًا وإداريًا تحت الحكم الميروفنجي، اتخذ أولى خطواته في القرن السادس للابتعاد عن المجال الثقافي والاقتصادي للبحر المتوسط[١٩٦]. كما أن حوادث أطلّت بوجهها على حوض البحر المتوسط، كانت تُهدد استقراره وهدوءه؛ فبربر إفريقية ثاروا على بيزنطة في أواخر أربعينيات القرن السادس[١٩٧]، والقوط الشرقيون استولوا في بداية النصف الثاني من القرن نفسه على جزيرتي كورسيكا وسردينيا، وقطعوا خطوط التجارة بين الشرق والغرب، وظلّوا يُنغصون على بيزنطة حتى سنة ٥٥٥م[١٩٨]، وبعدها دخلت بيزنطة في حربٍ مع القوط الغربيين في إسبانيا[١٩٩].

ويُضاف إلى ما سبق أن فتوحات جستنيان في الغرب المتوسطي لم تستقر تمامًا لتُوفر تجارة آمنة بين أطراف البحر، بل إن الحفاظ على هذه المكاسب كان أصعب وأثقل من تحقيقها، مما ألجأ بيزنطة إلى أن تُكافح طيلة القرن السادس لتوطيد أقدامها في قواعد بحرية وتجارية في الغرب مثل: سبتة، وجنوب إسبانيا، وإفريقية، وسردينيا، وكورسيكا، وجنوه، ونابلي، ورافنا، وصقلية، ولم يتحقق لها ذلك إلا بداية من القرن السابع[٢٠٠]. في الوقت نفسه شهد القرن السادس اهتمام بيزنطة بالتجارة الشرقية؛ فحاولت فتح طُرق تجارية لها عبر البحرين: الأحمر والأسود[٢٠١].

يُفهم إذن أن خطوط التجارة والملاحة في البحر المتوسط كانت تنقطع وتتواصل حسب الظروف السياسية والعسكرية حول سواحله. وعلى الرغم من ذلك شهد هذا البحر في القرن السادس أوقات رخاء وسلام[٢٠٢]، فيتحدّث فلهلم هايد Hyde وأرشيبالد لويس Louis وستيفن رنسيمان Runciman عن تبادل بضائع حيوية بين سواحله مثل: التوابل والأقمشة الحريرية. ولم يُشيروا من قريب أو بعيد إلى تأثير الطاعون على مسلك التجارة بين شطريه: الشرقي والغربي[٢٠٣].

وهناك إشارات إلى تواصل حركة السلع التقليدية كالحبوب والثياب بين موانئ البحر المتوسط، فضلًا عن زيت الزيتون وورق البردي والأطعمة الطازجة، فاستمرت سفنها رائحة غادية. وكانت الإسكندرية من أهم الموانئ التي تتواصل تجاريًا مع الغرب المتوسطي خلال القرن السادس؛ فصدّرت إلى إيطاليا الحبوب والصناعات الفاخرة، واستوردت منها الخشب. وبلغت سفنها موانئ إسبانيا وغالة، وتاجرت على نطاق واسع مع إفريقية. وكان لكرسيها الأسقفي أسطولٌ يتكون من ثلاث عشرة سفينة على الأقل، حملت إلى موانئ إيطاليا والأدرياتيكي الحبوب والأقمشة والفضة والمقتنيات الثمينة[٢٠٤]. وقد أسهم هذا الأسطول في إثراء البطريركية فحوت خزانتها ثمانية آلاف رطل من الذهب في أواخر القرن السادس[٢٠٥]. وورد أن البطريرك يوحنا المحسن Almsgiver تفاوض في الفترة (٥٩٦- ٦٠٣م) مع البابا جريجوري الكبير (٥٩٠- ٦٠٤م) لاستيراد أخشاب من إيطاليا تصلح لبناء السفن[٢٠٦]. وجاء في رواية أخرى أن البطريرك نفسه أرسل ثلاث سفن تحمل الحبوب إلى الغرب المتوسطي، كان على متن إحداهن عشرين ألف كيل. وحسب الرواية بلغت هذه السفن الجزر البريطانية، ولدى العودة عرَّجن على بنتابوليس Pentapolis (المدن الخمس) بساحل إيطاليا الشرقي؛ للاتّجار في القصدير[٢٠٧].

وأما إفريقية فسرعان ما استعادت نشاطها الزراعي بعد أن أخمدت بيزنطة ثوراتها في منصرف النصف الأول من القرن السادس، ونهضت تصدّرُ الحبوب وزيت الزيتون إلى عالم البحر المتوسط بشطريه الشرقي الغربي. وإيطاليا بالمثل استعادت عافيتها بعد غزو اللمبارديين لها. وتعكس بعض خطابات البابا جريجوري أن إيطاليا أمست في ثراء ورخاء مثلما كانت أيام ثيودوريك العظيم (٤٧١- ٥٢٦م)؛ فاشتهرت منها رافنا وبنتابوليس بالتجارة مع بلدان الشطر الشرقي من البحر المتوسط[٢٠٨]. ويشي خطاب للبابا نفسه أن عمل صرَّافه المالي المدعو أرجينتاريوس Argentarius يعكس علاقات مالية نشطة بين الشرق والغرب في نهاية القرن السادس[٢٠٩]. وبالمثل كانت غالة نشيطة تجاريًا، فاستقبلت بضائع الشرق من خلال مينائيها: مارسيليا وآرل[٢١٠]، وبلغت هذه الواردات حوض الرون ووادي نهر الراين، حسبما يظهر من محتويات مقابر هناك ترجع إلى القرن السادس[٢١١]. وكان البيع والشراء يتم بنقودٍ ذهبية[٢١٢]. وقد شاع في البلاط الميروفنجي استخدام سلع شرقية فاخرة مثل: النبيذ والتوابل. وفي المقابل كانت غالة تُصدّر عبر مارسيليا وبروفانس الرقيق والمنتوجات الزراعية الطازجة[٢١٣].

ولا ريب أن وجود التجار المشرقيين في مدن الغرب الجرماني قد ساعد على تيسير سُبُل التجارة بين الشرق والغرب؛ فتوطن السوريون والإسكندريون واليهود والأرمن وبعض اليونانيين في المدن الكبرى بإيطاليا وغالة وإسبانيا وإفريقية[٢١٤]. وقد جلب هؤلاء التوابل والأنبذة والأقمشة وورق البردي من أقاليم الشرق، وفي المُقابل سهَّلوا تصدير زيت الزيتون والخشب والملح والمعادن إلى هذه الأقاليم[٢١٥]. والواضح أن العلاقة بين شطري البحر المتوسط كانت تكافلية بالمقام الأول؛ فالغرب لم يُزاحم الشرق في احتكار النشاط التجاري، والشرق كان يُلحُّ في طلب بضائع الغرب[٢١٦].

مما سبق يتضح أن الطاعون الجستنياني لم يُعرقل تجارة البحر المتوسط. وإن كان ثمَّة تراجع طرأ على التجارة الغربية في هذا البحر فإنما كان بسبب جرمنة الغرب الأوربي، الذي غدا على حد ذكر جيمس ماسكال Masschaele مجتمعًا زراعيًا ذا تجارة محدودة واقتصاد مُقيد[٢١٧]. وقد سلك هذا الغرب في القرن السادس درب الانفصال عن العالم الشرقي، وخفت اهتمامه بالتجارة البحرية. وهذا لم يكن بسبب الطاعون، وإنما يرجع بالأساس إلى تغيرات البنية الاجتماعية للقوى الجرمانية، حيث تحولت المراكز الحضرية- إرث العصور الكلاسيكية– إلى قُرى زراعية[٢١٨].

طاعون جستنيان والبناء الليتورجي في الغرب الأوربي[٢١٩].

لم يكن غريبًا أن شاع في الغرب الأوربي مع موجات الطاعون المتوالية جوٌّ عام من التوتر والإحباط، بات الناسُ معه مهيئين لتصديق الخرافات وأنواع الدجل، ولجأ بعضهم إلى السحرة والعرافين استطلاعًا للمستقبل أو التماسًا للحماية من شبح الوباء[٢٢٠]. يقول جريجوري التوري: "عمّ الوباء غالة، وفتك بمارسيليا، وسقطت مدن أنجيه Anger ونانت Nantes ولومان Le Mans بين أنياب المجاعة. لقد كانت هذه الأحداث بداية الآلام كما يقول الإنجيل: " وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن[٢٢١]"، ويكثُرَ المسيحون الدجّالون، ومُدّعو النبوة الذين يخدعون الناس بآيات وعجائب كاذبة[٢٢٢]". ولا يخفى هنا أن "جريجوري" يعقد الصلة بين ظهور المدّعين والأفاقين في مجتمع غالة ووقوع الكوارث.

ورغم أن رواية جريجوري تعكس سخرية مريرة من توهم الناس وخيالهم المُفرط، غير أن الرعب من الطاعون الجستنياني أدّى إلى ظهور أسماء ورموز دينية، توجّه الناس إليها بالابتهالات، وبذلوا لها النذور[٢٢٣]. فتقدَّسَ ميخائيل رئيس الملائكة الذي كان له مزارٌ مشهور فوق قمة جبل جارجانو، بالطرف الجنوبي الشرقي من إيطاليا. كما تقدّست أسماء بعض شهداء القمع الوثني في قرون المسيحية الأولى، وربط الناس بين معاناة هؤلاء وتعذيبهم وبين التوسل بهم طلبًا للشفاء أو الحماية من الوباء[٢٢٤]؛ فأمسى الناس يُقدّمون إليهم النذور، ويحملون أيقونات وتمائم عليها صورهم[٢٢٥]. وأطلّت على الغرب الأوربي في القرن السادس أيضًا شعائر وتعاويذ ارتبطت بالسيدة العذراء، التي كانت طقوسها الليتورجية معروفة في الشرق البيزنطي منذ أواخر القرن الخامس، وقد ذاعت على يد الإمبراطور جستنيان منذ منتصف القرن السادس[٢٢٦]. وسرعان ما عُرفت في روما وعلا شأنها على يد البابا جريجوري الذي أقام سنوات في القسطنطينية – في ثمانينيات القرن السادس- وعاين التأثير الليتورجي لطقوسها بوصفها حامية، لا تجابه الطاعون وحسب وإنما الأخطار الأخرى[٢٢٧]، فأقبل – بعد توليه البابوية- يُوجّه مواكب التوبة لزيارة الكنيسة المُكرّسة لها في روما. وهذا جعل آلان ستوكليت Stoclet يؤكّد أن القرن السادس شهد انتشار الطقوس المريمية في شرق أوربا وغربها، على أنّه لا يُلصقها بالضرورة بطاعون جستنيان، بل يجعل من مبرراتها أيضًا مطاردة بقايا الوثنية[٢٢٨].

ومن الجدير بالذكر أنَّ المجتمعات الغربية كانت في وثنيتها تنظر إلى الوباء على أنّه غضبٌ سماوي أو مسٌ شيطاني[٢٢٩]. ومع انتشار المسيحية بقي هذا المعتقد راسخًا عند الناس، الذين رحبوا بالشهداء الأوائل للمسيحية ورجال الدين البارزين بوصفهم وجوهًا مضادة للشياطين[٢٣٠]. وفرض المجتمع الغربي على هذا التفسير الشيطاني لأصل الوباء إطارًا دينيًا[٢٣١]، فربط البابا جريجوري الكبير بين طفوح الطاعون والبثور التي ملأت جسد أيوب (عليه السلام)، واعتبر أنَّ كليهما من عمل الشيطان[٢٣٢]. وكان من نتيجة ذلك أن تعلّم المسيحيون تلاوة التعاويذ الدينية على أمل تبديد الرؤى الشيطانية[٢٣٣]؛ ثم غدت هذه التعاويذ تُقدّمُ الراحة النفسية للمرضى، ومهّدَت لطقوسٍ عامة يمكن من خلالها إعادة دمج الأفراد مع أسسٍ دينية جديدة في المجتمع الأوربي خلال العصور الوسطى الباكرة[٢٣٤]. وأمست هذه الطقوس بمرور الوقت جزءًا لا يتجزأ من حياة الناس الذين تمثّلوا فيها تقرير مصيرهم؛ فباتوا على قناعةٍ أنّهم إذا خسروا الحياة جرَّاء الوباء، فازوا على الأقل بالجنة[٢٣٥]. ومع هذا لا يجب أن ننساق وراء فكرة أن التعاويذ العلاجية وُلدت في الغرب الجرماني من أزمة الطاعون الجستنياني، حيث كان معروفًا في إيطاليا منذ القرن الخامس طقوسًا دينية تُجابه السحر الذي يظن الناس أنّه يجلب وباء الملاريا[٢٣٦]. كما شاعت في إيطاليا منذ ثلاثينيات القرن السادس تعاويذٌ تحوي قواعد سان بندكت، يتم ترديدها فوق المرضى[٢٣٧]، وعليه يُمكن القول إن التعاويذ والطقوس الليتورجية قد غزتا أفق أوربا قبل مجيء الطاعون.

ولكن كيف كان تعاطي الأطباء مع هذه الجائحة؟ وهل حاول أحدهم الخروج من عباءة الليتورجيا وسعى إلى تشخيص المرض في إطار علمي بيئي؟ من الواضح أن الإسهام الطبي في هذه الجائحة كان متواضعًا. وتكاد تندر الإشارات التي وردت في المصادر عن جهود الأطباء وممارسة العلاج؛ فقد اختلط في مجتمعات أوربا القرن السادس التداوي الروحي والتداوي الجسدي، وغلب الأول على الثاني، فأمسى التأثير أقوى من المؤثر. وبات الناس على قناعة بأن الخلاص من الأوبئة إنما بالتقرّب إلى الله، والتطهر من الآثام، مما أدّى إلى تراجع دور الأطباء لأن الناس نظروا إلى الوباء على أنّه ابتلاء إلهي[٢٣٨].

وربما تعكس مناقشات أناستاسيوس Anastasius السيناوي ما كان يجول في خواطر البشر عن تفشي الأوبئة، وكيفية التعامل معها[٢٣٩]. ففي إجابته عن استفسارٍ حول ما إذا كان مُجديًا الانتقال من مكان مُصاب بآفة الطاعون إلى محلٍ آخر، يقول: "إن الطاعون

ينفجر إما بسبب غضب الرب، وإما بعامل الهواء الفاسد والأبخرة الملوثة والروائح الكريهة. في الحالة الأولى لا يُمكن الهروب من الوباء، وفي الثانية يُساعد الانتقال إلى مكان آخر ذي هواء صحي على النجاة من الموت(٢٤٠).

ورغم تبني نظرة أكثر موضوعية في الشرق البيزنطي عن الغرب الجرماني لوضع تفسير عقلاني لمنشأ الطاعون، غير أن أحدًا لم يجتهد في تفسير سبب انتقال عدواه. ولذلك لجأ الناس إلى التعويض الروحاني، فدار التفسير اليهودي- المسيحي حول فكرة أن هذا الوباء ابتلاء ربّاني أصاب الجسد الاجتماعي والسياسي، وليس ظاهرة بيئية طبية تحتاج إلى تدخل عقلي. ولذلك جنحت المصادر إلى الربط بين الوباء وبين الظواهر الفلكية والمصائب الأرضية الأخرى. والحقيقة أن هذا التفسير الميتافيزيقي لقي استجابة شعبية جارفة في الغرب الأوربي(٢٤١).

بيد أن هذا لم يمنع بروز بعض الأطباء الذين اشتهروا في القرن السادس، منهم الإسكندر الترالي Alexander of Tralles(٢٤٢)، الذي عاش في روما إبّان الطاعون، وصنَّفَ مؤلفًا طبيًا يعكس إلمامه ببعض طُرق العلاج والإجراءات الصحية التي تناسب الأمراض الوبائية(٢٤٣). على أنَّ تأثيره كان متواضعًا في مواجهة التفسيرات اللاهوتية التي جعلت الطاعون مطرقة الرّب، ولذلك لم يُقاوم هذا الطبيب الإغراء بأن يُضمّن كتابه تعاويذ وترنيمات دينية(٢٤٤).

كما ظهر بعض الأطباء الممارسين *Archietros* في غالة؛ فتحدَّثَ جريجوري التوري عن اثنين منهم، الأول: اسمه ماريلييف Marileif الذي كان يعمل في تطبيب قُصّاد كنيسة مدينة تور Tours. وقد استلحقه الملك الميروفنجي شيلبريك الأول Chelpéric (٥٦١- ٥٨٤م) ببلاطه، مما أسخط جريجوري، فاتهمه بالتخلّي عن خدمة الرب(٢٤٥). والثاني هو ريوفال Reoval الذي تدرّب في القسطنطينية، وشرع يمارس الطب في مدينة بواتييه Poitiers، ربما تحت سلطة أسقفها وإشرافه(٢٤٦)، على أن التوري لا يُوضح كيف كان عمل هذين الطبيبين في أثناء تفشي الطاعون، والواضح أن جهديهما تواريا خلف أعمال الأساقفة وتعاويذ رجال الدين(٢٤٧).

وبدلًا من إبراز دور الأطباء يُشيد "التوري" بجهود الأساقفة؛ ففي حديثه عن طاعون مدينة آرل بعد سنة ٥٤٤م يقول: "إن المُبارك جال St. Gall أسقف مدينة أوفرن Auvergne كان خائفًا على المسيحيين أتباع أبرشيته، فمكث يُصلي يومًا كاملًا، مبتهلًا إلى القدير أن يحمي قطيعه من الهلاك. وفي نومه جاءه ملاك الرب بشعر أبيض يُزين رأسه، وعليه ثياب بيضاء بلون الثلج، فأخبره أن الرب قبل صلاته، وأنه وقطيعه سوف يبيتون في مأمنٍ من الوباء، ما دام هو الأسقف نفسه حيًّا. وقد استيقظ "جال" المُبارك من حلمه الرباني وهو يشكر القدير لمواساته وقبوله صلاته. وقرر بكل عزم وتصميم أن يقصد ماشيًا إلى مزار الشهيد جوليان St. Julien de Brioude – الذي يبعد أكثر من خمسة وستين كم- وهو يُرتّل ويدعو. وقد صحبه الفلاحون في رحلته هذه، وهم طوال الطريق يرون العلامة *tau* على المنازل والجدران(٢٤٨). وحدث بالفعل أن الوباء أصاب أماكن عديدة دون أن يقترب من مدينة أوفرن، وكان ذلك من أثر بركة القديس "جال"(٢٤٩).

وفي السياق نفسه يتحدّث جريجوري عن الطاعون الذي أصاب غالة بين ٥٨٠- ٥٨٣م، يقول أن هذا الوباء لم يكن تأثيره في الشمال بمثل خطورته في الجنوب، وقد أنقذ مدينة رانس من براثنه أنّها تحوي رفاة القديس ريمي Remi، كذا أفلتت منه مدينة ترييه لاحتوائها على قبر صاحب القداسة Nicetius(٢٥٠). ويتحدث التوري عن وباء مارسيليا عام ٥٨٨م، وكيف أن الملك الميروفنجي شيلدبير Childebert الثاني (٥٧٥- ٥٩٦م) حث جموع الناس على أن يبذلوا إلى القدير ثلاثة أيام من الصوم والصلاة Rogations، لا يأكلون فيها إلا خبز الشعير(٢٥١)"، ويتضّح أن هذا الطقس الابتهالي صار ظاهرة مجتمعية وإلا ما كان أمر به رأس الدولة شخصيًا. ولكن يجب ألا نقصر هذه الطقوس على الطاعون، وإنما كان المجتمع يلجأ إليها لدى أي كارثة قد تُصيبه، فـ"التوري" يذكر على سبيل المثال أن سكان باريس لهجوا بالشكر والدعاء إلى القديسين فنسنت Vincent ومارتن Martin لأن بركتهما أنقذت المدينة من حريق(٢٥٢).

وتتكرر هذه الطقوس في روما إبّان طاعونها سنة ٥٩٠م، إذ عدّه البابا جريجوري الكبير شأنًا سماويًا- بالمعنى الحرفي- وليس عرَضًا أرضيًا. وأعلن أنه رأى بعينيه سهام البلاء تتساقط من السماء على البشر(٢٥٣). وخطب في الناس غداة اعتلائه سدّة البابوية: "أرى قطيعي يتعرض لضربات سيف الغضب الإلهي". وناشد جموع الناس في روما أن يبتهلوا إلى القدير: "فليلتمس كل واحد منا النجاة في مراثي التوبة. فلننقذ أنفسنا بالبكاء والندم على أخطائنا، ولنبادر إلى التوبة". وأمر الناس في روما بالصوم والصلاة مدّة ثلاثة أيام، تُنظم خلالها مواكب التوبة إلى كنيسة القديسة مريم العظيمة *Santa Maria Maggiore*(٢٥٤). وكان من نتيجة هذه الابتهالات: "أنَّ الحبر الأعظم بينما ينظر في السماء مُتضرعًا إلى القدير، إذ به يرى ملاك الرب يُغمد سيفًا كان مُلطخًا بالدماء. ساعتئذٍ أدرك البابا أن الرب استجاب لدعائه، ورفع البلاء"(٢٥٥).

بمرور الوقت أضحت العظات الليتورجية بمثابة ملح الطعام في الاحتفالات الدينية أو الطقوس الابتهالية، حيث كانت تُمثّلُ انعكاسًا نفسيًا للكوارث التي حلّت بالمجتمعات الغربية. وتوضح ردود الفعل والاستجابة التي يتعين على المسيحيين إظهارها للنجاة

منها. ولدينا مثالٌ على ذلك عظات مدينة طليطلة التي يُرجّح أنه ظهرت في بدايات القرن السابع، وهي أربع عظات ألقاها أسقف مجهول، في محاولةٍ لمُجابهة طاعون جستنيان.

وقد أوضح الأسقف في العظة الأولى أن الطاعون هو غضب من السماء، يقول: "هو ذا الموت الدموي - أيها الإخوة الأحباب- أمسى جارًا لنا، هو ذا الوباء غضب الرب، وعنوان خطايانا الذي يُصيب الإربة". ويحثُّ جموع المؤمنين على إظهار التوبة: "ماذا نفعل الآن للهروب من هذه الكارثة؟ ماذا نفعل لتهدئة غضب الرب؟ إن نجاتنا ليست في طلب الأدوية بل في نصائح الملائكة ومأثور الأنبياء، وفي الصلاة والصوم والصدقة؛ لأن الصدقات تطهر من الذنوب، وتنجي من العذاب. فلنُجْرِ دموع توبتنا، ولندعها تُكفّر عن خطايانا وذنوبنا. اعلموا أيها الإخوة الأحباب أن هذا هو السبيل إلى تسكين غضب الرب، وإلى النجاة من مطرقة الوباء القاتل"[٢٥٦]. وفي العظة الثانية يدعو الأسقف إلى العودة إلى نقاء القلب، عساه يُقدّم العون والنجاة من الوباء، جاء فيها: "أحبائي دعونا اليوم نتوجه إلى المسيح بالدعاء طلبًا للمغفرة... دعونا نبحث في قلوبنا لنرى كيف هي متقلبة. دعونا ننقِّ قلوبنا بإعلان خطايانا، ولنرجو من الله أن يغفرها. دعونا ننح بصدقٍ ونبتهل جميعًا في صوتٍ واحد إلى القدير أن يرفع هذا البلاء"[٢٥٧]. وفي الثالثة يُحذر جموع المؤمنين من التجديف أو التشكيك في رحمة الله، جاء فيها: "أحبائي دعونا لا نكون مثل الذين أرعبتهم التوبة لدرجة أنهم لم يتحملوا الشرور المخيفة. أنخشى الموت من وباء الفخذ؟ ألسنا نموت على كل حال به أو بغيره من البلايا والمصائب؟ إن أحدًا لن يموت قبل نهايته المُقررة. ألا تعلمون أن من يمت يرَ وجه القدير، فيالها من نعمة في الموت ويالها من رحمة؟ دعونا أيها الأحبة لا نفقد إيماننا بالقدير، ولنتوجه إليه في صوت واحد نرجوه أن يرأف بنا"[٢٥٨]. وفي العظة الرابعة يحث الأسقف على العودة إلى الضمير وإعلان التوبة والندم. جاء فيها: "أيها الأحبة ماذا يُمكن أن نفعل مع البلاء الذي يُصيب الفخذ إلا أن نُعلن الندم بمآقٍ تملؤها الدموع؟ وأن نعمل بقول الرب: ارجعوا إلي بقلوبٍ نقية، يغسلها الصوم والبكاء. هذا هو الطب الإلهي الذي به نبرأ من أسقامنا[٢٥٩]".

مما سبق يتّضح أن الليتورجية في مجتمعات الغرب الجرماني أبرزت دورًا كبيرًا لتأثير الطاعون، وضخّمت خطورته لأكثر مما كان عليه. وهي ظاهرة يصعب تحليلها على حد ذكر ميشا ماير Meier، حيث تعكس تغلغل الدين في جنبات المجتمع وتغلبه على سلوكيات البشر، مما يجعل الآراء التفسيرية حول أسباب الطاعون أو كيفية انتقال عدواه تعجز أمامه، وتضطر المجتمعات إلى تكييف التفسيرات المنهجية وموائمتها مع المحاور الدينية[٢٦٠].

وقد تبنَّى البعض هذا التوجّه، ووضع تفسيرًا لمستجدات الظواهر في المجتمع الغربي على مقاس الطاعون وحسب، فعدَّه – على سبيل المثال- سببًا لتشديد مجلس أساقفة مدينة تور في ١٧ نوفمبر عام ٥٦٧م على تحريم نكاح المحارم، حيث كان في نظرهم سلوكًا يُثير غضب الله، ويجلب الوباء[٢٦١]. الأمر الذي استثار الباحثين ميرل إيزنبرج Eisenberg ولي موردخاي Mordechai فرفضا اقتران الطاعون بالمتغيرات الدينية في الغرب الأوربي. وأكدّا أن المجتمعات الجرمانية شهدت عملية تحول طويلة الأجل في الجوانب الدينية والثقافية المختلفة، وأنّه لا يُمكن وقف التطور الليتورجي في هذه المجتمعات على موجات طواعين قصيرة المدى، لا يفوق تأثيرها تأثير غيرها من الأمراض المعتادة في الغرب الأوربي[٢٦٢].

وهذا الطرح يجعلنا نقف عند القرن السادس حيث كانت الجولة الأخيرة بين الوثنية والمسيحية، ونرتاب قليلًا في نوايا رجال الدين لاستغلال وباء الطاعون والاستفادة منه لمحاربة البدع والوثنية، وفرض هيمنة الكنيسة على المجتمع الغربي[٢٦٣]. على هذا الأساس نقم البابا جريجوري من ثلاث طوائف كان يراها لا تزال خارج العقيدة الصحيحة: الوثنيين واليهود والهراطقة[٢٦٤]. وأبدى قلقه من تحوّل اللمبارديين - جيرانه في إيطاليا- إلى الآريوسية، فعدَّهم هراطقة[٢٦٥]. وما لبث أن جاء بنظرة جديدة نحو المسيحية، ليس بوصفها ظاهرة اجتماعية ذات تأثير محلي، ولكن إيذانًا لها بأن تكون دينًا عالميًا، تدخل تحت ظلّه هذه الطوائف، فتصبحُ الكنيسة هي موجّه المجتمع تحت قيادة ربابنتها البابوات، ويُصبحُ المجتمع: "قطيعًا واحدًا وراعيًا واحدًا"[٢٦٦]، وعليه جعل البابا جريجوري من الوباء أداة رعب وتخويف، حين أعلن أن الله أرسله عقوبة إلى من لا يتبع طريقه القويم[٢٦٧]. وهذا يقودنا إلى قبول قول المؤرخ جو هيز Hays: "إن تفشي الطاعون كان فرصة مناسبة للهيمنة الدينية[٢٦٨]".

الخاتمة

يتّضح من هذه الدراسة أنَّ تتبع خطى طاعون جستنيان في الغرب الأوربي وتلمس آثاره لم يكن أمرًا سهلًا، حيث أن المصادر التاريخية لم تُقدّم صورة وافية لانتشاره وأعراضه وانتقال عدواه. وقد رأينا أنَّ هذه المصادر- عدا القليل منها مثل جريجوري التوري وبولس الشماس- ربما اختلطت فيها أوصاف أعراض الطاعون مع أعراض أوبئة أخرى، ولذلك كان من الصعوبة فرض حكم اجتماعي على تأثيره. كما رأينا مغالاة بعض الباحثين في الذهاب إلى أن هذا الوباء قد أودى بالحقبة الكلاسيكية في الغرب الأوربي، وأنتج حقبة العصور الوسطى، في حين أنَّ عوامل كثيرة ترجع إلى سنوات سابقة على هذا الوباء قد شكّلت البناء الاجتماعي للغرب الأوربي في العصور الوسطى الباكرة؛ يأتي على رأسها التنصير وهيمنة الكنيسة، وتطبّع الغرب بالطابع الجرماني، وما تبعه من تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية.

وتخلص الدراسة إلى أنَّ هذا الوباء كان له تأثيرٌ محدود على غرب أوربا في القرن السادس، في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية، ولم يتخط أثر غيره من الأوبئة والكوارث التي حاقت بأوربا في العصور الوسطى الباكرة، وأن الدعاية الدينية والأدبية قد هوّلت من أعراضه، وأضفت عليها من إبداع العقل وشطحات الخيال ما فاق حقيقة خطره، لاسيّما وأن طبيعة المرض على أرجح التصورات لم تخرج عن إطار الوباء الدُّملي، وهو أقل أنواع الطاعون تفشيًا بين البشر. وعليه يرى الباحث أن هذا الوباء -مثل غيره من الكوارث- مهدَ الطريق للمؤسسة الدينية في الغرب الأوربي لكي تُرسّخ نهجًا ليتورجيًا، يُمكّنها من إحكام قبضتها على مقاليد المجتمع الغربي

Abstract

Justinian's Plague in Western Europe during the Sixth Century AD, its Sociological, Economic, and liturgical Consequences.

By Khalid Abdel Badie Radwan Mahmoud

Abstract: This paper sheds light on the impact of the plague of Justinian on Western European society during the sixth century AD. It investigates the social and religious reality of Western Europe and the extent of its link with the epidemic. It deals with the direct and indirect impact of the epidemic on the markets and trade in the Mediterranean world in an era that witnessed the demise of the era of the Western Empire or the central state in its old concept, and the dawn of two new worlds: the Byzantine world with the Greek dimension to the east, and the Latin Germanic world in the European west.

Keywords: The Justinianic Plague - the Germanic West –Trade - The Mediterranean Sea.

الهوامش

(١) الجائحة الثانية هي الموت الأسود أو الفناء الكبير (١٣٤٧- ١٣٥١م).

(2) Little, Lester, "Life and After life of the First Plague Pandemic", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., L. Little, New York: Cambridge University Press, 2007, p. 3; McCormick, M, Toward a Molecular History of Justinianic Pandemic, in *Plague and the End of Antiquity*, p. 292.

وقد أقرّ لوغوف وبيرابان بفرضية لواحق طاعون جستنيان وجعلاها ست عشرة، وقسَّماها على النحو التالي: الموجة الأولى (٥٤١- ٥٤٤م)، انتقلت من القسطنطينية إلى الغرب. والثانية (٥٥٨- ٥٦١م)، نفذت من القسطنطينية إلى الغرب عن طريق رافنا وجنوه، ويبدو أنها اقتصرت على إيطاليا. والثالثة (٥٧٠م)، ضربت ميناءي مارسيليا وجنوه، وبلغت القسطنطينية بين سنتي (٥٧٣- ٥٧٤م). والرابعة (٥٨٠- ٥٨٢م) والخامسة (٥٨٨- ٥٩١م) ضربتا الغرب الأوربي، وعلى الخصوص غالة وإيطاليا. والسادسة (٥٩٩- ٦٠٠م)، أحاط الطاعون خلالها بروما ومارسيليا. ثم الموجات السابعة (٦٠٨م) والثامنة (٦١٨م) والتاسعة (٦٢٨م) والعاشرة (٦٤٠م) والحادية عشرة (٦٥٤م) والثانية عشرة (٦٨٤- ٦٨٦م)، والرابعة عشرة (٦٩٤- ٧٠٠م) والخامسة عشرة (٧١٨م) والسادسة عشرة (٧٤٠- ٧٥٠م)، التي كانت ذات أثر محدود على الغرب الأوربي.

Le Goff, Jacques & Biraben, Jean- Nöel, "La peste dans le haute moyen âge", *Annales, Économies. Sociétés. Civilisations* 24, no. 6 (1969), pp. 1492- 1493.

وأعلن لي موردخاي وآخرون معه أن موجات هذا الوباء تتراوح بين أربع عشرة وإحدى وعشرين. انظر:

Mordechai, Lee et, al. "The Justinianic Plague: An Inconsequential Pandemic?" *Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America*, 116, no. 51 (2019), p. 2.

في الوقت الذي رأى ستاتاكوبولوس وفرانسوا بيتر ولويز سيليرس أنها كانت ثمان عشرة. راجع:

Stathakopoulos, D., "Crime and Punishment: The Plague in Byzantine empire (541- 749)", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, Little, pp. 100, 102- 105; Pieter, F. & Cilliers, L., "The Epidemic of Justinian (A D 542): A Prelude to the Middle Ages", *Acta Theoligica* 26 (2) (2005), pp. 120 - 122.

ويعترض الباحث على فرض اسم جستنيان على الطواعين التي أعقبت وفاته (٥٦٥ -٧٥٠م)، فظلّت حتى القرن الثامن تحمل اسمه، ويسأل أصحاب هذه الفرضية أنّهم إذا كانوا قد طرحوها بحُجّة أن مُسبّبات الوباء وأعراضه في هذه اللواحق كانت واحدة، فلماذا لم يُسموا الموت الأسود بطاعون جستنيان، حيث كانت له المُسبّبات والأعراض نفسها؟

(٣) أصدر الألماني فالنتين شيبل كتابًا عن طاعون جستنيان، اعتمد فيها على المصادر اليونانية واللاتينية، Seibel, V., *Die Grosse Pest zur Zeit Justinianus, Dilingen*, 1857، ثم جاء كتاب المستشرق النمساوي ألفريد فون كريمر عن الوباء نفسه، ولكنه اعتمد على المصادر العربية. راجع:

Von Kremer, A., *Ueber die grossen Seuchen des Orients nach arabischen Quellen*, 1880.

ورغم أن الكتابين أنُهما بالتواضع إلا أنّهما فتحا شهية الدارسين للبحث في طاعون جستنيان. راجع:

Little, Life and Afterlife of the First Plague Pandemic, p. 15.

(4) Ibid

(٥) يُعَدُّ الطاعون الدُّملي بمثابة الشبح الغائب الحاضر؛ فقد أصاب راعيين منغوليين في مستهل يوليو سنة ٢٠٢٠م، كانا قد أكلا بعض القوارض، الأمر الذي أثار رعب العالم.

(6) Eisenberg, M. & Mordechai, L., "The Justinianc Plague: An Interdisciplinary Review", *Byzantine and modern Greek studies* 42 (2) (2019), p. 162.

(7) McCormick, Toward a Molecular History, pp. 290- 291.

(8) Sallares, Robert, "Ecology, Evolution, and Epidemiology of Plague", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., Little, pp. 232- 233.

(٩) كان عدم تحديد مُسبب وباء الطاعون من أكبر المشكلات التي واجهت الباحثين والكُتّاب والأطباء حتى عام ١٨٩٤م، حين تمكن الطبيب السويسري ألكسندر يرسين A. Yersin بمساعدة الفيزيائي وباحث البكتريا الياباني كيتاساتو شيباسابورو K. Shibasaburo من اكتشاف البكتريا حاملة الطاعون، التي عادة تتواجد في بطن البرغوث الذي يسكن فروة الجرذان والقوارض. وقد أطلق على هذه البكتريا اسم مكتشفها الطبيب السويسري، فصارت تُدعى يرسينا بستيس.

(10) Schat, Marjolein, Justinian`s Foreign Policy and the Plague: Did Justinian Create the first Pandemic? (2019) (*Montana.edu/history burg/yersiniaessays*).

(11) Little, Life and afterlife of the First Plague Pandemic, pp. 19- 20.

(12) See: Roosen, Joris & Curtis, Daniel, Dangers of Noncritical Use of Historical Plague Data, *Emerging Infectious Diseases*, 24 (1) (2018), pp. 103- 109.

(13) Procopius, *History of Wars*, Loeb classical library, London, 1914, vol. 1, 2. 22.

(14) John Malalas, *Chronicle*, trans. E. Jeffreys et. al, Melbourne, 1986, 18: 90.

(15) Evagrius scholasticus, *Ecclesiastical History*, trans. M. Whitby, Liverpool: Liverpool University Press, 2000, 4. 29; وعن إيفاجريوس (ت بعد سنة ٥٩٣م) راجع المُقدّمة. وأيضًا: الشاعر، محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٢- ١٣.

(16)*The Syriac Chronicle: Known as that of Zachariah of Mitylene*, trans. F. Hamilton & E. Brooks, London, 1899, Frag. of Ch. 9, p. 313. نشأ زكريا في غزّة. ودرس القانون في مدرستي الإسكندرية وبيروت إبّان حكم الإمبراطور زينون (٤٧٤- ٤٩١م). ولحق بالقسطنطينية حيث أقام بها مُشتغلًا بالمحاماة بين سنتي (٤٩١- ٥١٨م). وقد أنهى مؤلفه "التاريخ الكنسي" بعد سنة ٤٩١م، وهو يُغطي السنوات (٤٥١- ٤٩١م). عُيّن أسقفًا في بلدة ميتيلين Mitylene على ساحل بحر إيجة- وبقي فيها إلى سنة ٥٣٦م. ثم عُزل عنها بسبب معارضته لقرارات مجمع خلقدونية ٤٥١م، ورُبّما توفي بعدها – بقليل. وقد جاء تاريخه الكنسي في ستة كتب، وهو الذي ضمّنه كاتب سرياني غير معروف من سكان إقليم الجزيرة بالعراق في حولية، حيث أوصل سنواته لغاية ٥٦٨م، مضيفًا عليه ستة كتب أخرى. ولا تزال مخطوطة هذا المؤلف تحمل اسم زكريا الميتليني.

Ibid, intro., pp. 2- 3; Whitby, Michael, "The Church Historians and Chalcedon", in *Greek and Roman Historiography in Late Antiquity: Fourth to Sixth Century AD*, ed., G. Marasco, Leiden & Boston: Brill, 2003, pp. 459- 466.

(17) John Ephesus, *Lives of the Eastern Saints*, trans. E. Brooks, Paris, 1923- 1925, 639, Also: Morony, M., "For Whom does the Writer Write? The First Bubonic Plague Pandemic According to Syriac Sources", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., L. Little, New York: Cambridge University Press, 2007, p. 61.

(18) John Ephesus`s Ecclesiastical History, in *The Chronicle of Zuqnin*, pts 3,4. AD 488- 775, trans. A. Harrak, Toronto: Pontificial Institute of Medieval Studies, 1999, pp. 94- 97.

(١٩) أجابيوس المنبجي، كتاب العنوان، بيروت، ١٩٠٧، ص ٣٢١.

(20)*Chronique de Seert: Histoire nestorienne*, pt. 2, trad. A. Scher, Paris, 1950, p. 32.

(٢١) تاريخ مختصر الدول، تصحيح ومراجعة: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، ط ٢، بيروت: دار الرائد اللبناني، ١٩٨٣، ص ١٤٩.

(٢٢) ميخائيل السرياني، تاريخه الكبير، تعريب: مار غريغوريوس صليبا شمعون، حلب، ١٩٩٦، ٢/ ١٢٥.

(23) See details: Russell, Josiah, "That Earlier Plague", *Demography*, 5, no. 1 (1968), pp. 174 ff; Allen, Pauline, "The Justinianic Plague", *Byzantion* 49 (1979), p. 5; Pieter & Cilliers, The Epidemic of Justinian, pp. 124- 125; Sarris, Peter, "The Justinianic Plague: Origins and Effects", in *Continuity and Change*" 17 (2) (2002), pp. 170- 173; idem, "Bubonic Plague in Byzantium: The Evidence of Non- literary Sources", in *Plague and the End of Antiquity: the Pandemic of 541- 750*, ed., L. Little, pp. 120- 123, Tsiamis, Costas et al. "The Red Sea and the Port of Clysma: A Possible Gate of Justinian`s Plague", *Gesnerus* 66/ 2 (2009), pp. 210- 216.

(24) Procopius, *History of Wars*, 4. 29; John Ephesus`s Ecclesiastical History, pp. 99- 100; Also: Morony, The First Bubonic Plague Pandemic, p. 63.

(25) Procopius, *History of Wars*, 4. 29, *Anecdota Syriaca*, ed. J. Land, Brill, 1862, 2, 314: 17, 321: 5.

(26) Procopius, *The Secret History*, trans. G. Williamson, London, Penguin Books, 1969, 23; John Ephesus`s Ecclesiastical History, pp. 104- 105; Evagrius, *Ecclesiastical History*, 4. 29; Zachariah of Mitylene, Frag. of Ch. 9, p. 313.

ميخائيل السرياني، ٢/ ١٢٢، ١٢٤- ١٢٥.

(٢٧) كلمة Bubonic مشتقة من الإغريقية boubon وتعني أسفل البطن، أو (الإربة) أي أصل الفخذ groin، حيث كانت تظهر انتفاخات لمفاوية بوصفها علامات واضحة لمصابي الطاعون، ولهذا كان يُسمى بالطاعون الإربي. وكانت هذه الكُريات اللمفاوية تظهر أيضًا على هيئة دمامل أسفل الإبطين أو في الرقبة خلف الأذنين. للتفاصيل راجع:

Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 22; idem, *The Secret History*, 23, John Ephesus`s Ecclesiastical History, pp. 104- 105.

(28) Procopius, *History of wars*, vol. 1, 2. 22, John Ephesus`s Ecclesiastical History, p. 105.

(٢٩) عن الطاعون الرئوي Pneumic وطاعون التعفن الدموي Septicaemic. انظر التفاصيل في:

Allen, The Justinianic Plague, pp. 8- 10; Bratton, T., "The Identity of the Plague of Justinian (1)", *Transactions and studies of the College of Physicians of Philadelphia*", 3 (2) (Jun. 1981), pp. 113- 24; Evans, James, *The Age of Justinian: The Circumstances of*

Imperial power, New York & London: Routledge, 1996, pp. 162- 163; Pieter & Cilliers, The Epidemic of Justinian, p. 124; Rosen, William, *Justinian`s Flea: Plague, Empire and the Birth of Europe*, New York: Penguin Group, 2007, p. 209.

أيضًا: علي، علي السيد. الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر، *المجلة التاريخية المصرية* (٣٣)، ١٩٨٦، ص ١٥٣- ١٥٤.

(30) John Ephesus`s Ecclesiastical History, pp. 94- 97, 99- 101, 103- 105 ff, Evagrius, *Ecclesiastical History*, 4. 29.

(31) Horden, Peregrine, "Mediterranean Plague in the Age of Justinian", in *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*, ed., M. Mass, Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2005, pp. 134- 160.

(32) Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 23.

(33) John Ephesus`s Ecclesiastical History, p. 104.

(٣٤) ميخائيل السرياني، تاريخه الكبير، ٢/ ١٢٢.

(35) See: Evans, *The Age of Justinian*, p. 162; Sarris, The Justinianic Plague, p. 170; Rosen, Justinian`s Flea, pp. 177 ff.

(36) فقط إشارة لــ يوحنا الأفيسسي تقول إن الوباء فاجأ البحارة وهم في عرض البحر، فلم يُمهلهم وأفناهم جميعًا، وجعل سفنهم قبورًا لهم. انظر: John Ephesus`s Ecclesiastical History, p. 95.

(37) Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 22; John Ephesus`s Ecclesiastical History, p. 96;

ميخائيل السرياني، تاريخه، ٢/ ١٢٥.

(٣٨) انفرد بروكوبيوس – وهو الأكثر دقة في وصف أعراض الوباء- بالإشارة إلى موقف الأطباء في القسطنطينية، فيقول إنهم وقفوا عاجزين أمام المرض. وحاول بعضهم أن يتعامل مع الطفوح الجلدية التي أعقبها الطاعون، فثقبها وأفرغ الصديد منها. ويبدو أنّهم مارسوا طرقًا علاجية، ولكنها لم تُفلح في إنقاذ المرضى. ويُشير بروكوبيوس إلى الإمبراطور جستنيان نفسه أصابه الوباء. انظر:

Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 22; Also: Evans, James, *The Emperor Justinian and the Byzantine Empire*, Westport: Greenwood press, 2005, p. 76.

(39) Little, Life and Afterlife of the First Plague Pandemic, p. 7.

(40) Stathakopoulos, Crime and Punishment, pp. 101- 103 ff.

(41) Meier, Mischa, "The Justinianic Plague: The Economic Consequences of the Pandemic in the Eastern Roman Empire and its Cultural and Religious Effects", *Early Medieval Europe* 24 (3) (2016), pp. 281- 282.

(42) Morony, The First Bubonic Plague Pandemic, pp. 59- 85.

(43) Russell, That Earlier Plague, pp. 174- 180.

(44) Hollingsworth, Th., *Historical Demography*, London, 1969, pp. 365- 367.

(45) Allen, The Justinianic Plague, p. 11.

(46) Cameron, Averil, *The Mediterranean World in Late Antiquity AD 395- 600*, London- New York, 1993, p. 111.

(47) For more details see: Pollitzer, Robert, *Plague*, Geneva: World Health Organization, 1954, p. 448; Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology, pp. 233- 240.

(48) Durliat, Jean, "La peste du VI siècle: pour un nouvel examen des sources byzantines" *Hommes et richesses dans l`empire byzantin (IVe- VIIe) Siècle*, ed. V. Karavari, C. Morrison, et J. Lefort, Paris, 1989, vol. 1, pp. 109- 112.

(49) Sarris, The Justinianic Plague, p. 179; idem, Bubonic Plague, p. 119.

(50) Kennedy, Hugh, "Justinianic Plague in Syria and Archaeological Evidence", *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed. L. Little, pp. 87- 88.

(51) Hays, Jo, Historians and Epidemics: Simple Questions, Complex Answers, in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, pp. 43- 46.

(52) McCormick, Michael, "Tracking Mass Death During the Fall of Rome's Empire (I)" "*Journal of Roman Archaeology* 28 (1) (2015), pp. 325- 357; idem, "Tracking Mass Death during the Fall of Rome's Empire (II): A First Inventory of Mass Graves", *Journal of Roman Archaeology* 29 (2016), pp. 1004- 1007.

(53) McCormick, Toward a Molecular History, pp. 297- 299.

(54) Eisenberg & Mordechai, The Justinianc Plague, pp. 167- 168.

(55) Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 22; Agathias, *Histoires: guerres et malheurs du temps sous Justinien*, trad. P. Maraval, Paris: les Belles Lettres, 2007, 5: 3,10.

(٥٦) Count Marcellinus, *Chronicle*, trans. B. Croke, Sydney: University of Sydney, 1995, p. 50. يُرَجَّحُ أن ماركيلينوس كان مُحافظًا على الليريا. وقد جمعته صداقة مع مواطنه جستينان قبل صعوده إلى العرش، ما حفظ لماركيلينوس مكانته السياسية فيما بعد، فظلّ يحمل لقب القُمّس. صعد بحولية القديس جيروم من سنة ٣٧٨م إلى سنة ٥٣٤م. ويُظنُّ أنه فرغ منها قبيل منتصف القرن السادس، ثم أكملها كاتبٌ مجهول إلى سنة ٥٤٨م. انظر: Ibid, intro., pp. XIX- XX, XXV.

(٥٧) فلافيوس كوريبّوس، ملحمة الحروب الليبية، ترجمة: محمد الطاهر الجراري، طرابلس، ١٩٨٨، كتاب (٣)، ص ٧٧- ٧٨. وعن كوريبوس (ت بعد ٥٦٧م) انظر: Baldwin, Barry, "The Career of Corripus", *Classical Quarterly* 28, no. 2 (1978), pp. 372- 378; Tommasi,

Chiara, "L`héritage de Corippe: entre tradition indirecte et réécriture poétique", dans *Corippe entre deux mondes*, ed. B. Goldlust et al., Lyon, 2015, 347- 350 ff.

(58)*Victoris Tunnunensis Chronicon*, ed. C. Cardelle de Hartmann et. al., Turnhout: Brepols, 2001, ad. 542. About Victor (d. post-567 AD) see: *Conquerors and Chroniclers of Early Medieval Spain*, trans. K. Wolf, 2nd ed. Liverpool University Press, 1999, pp. 2- 3, 57.

(59)Zachariah of Mitylene, Frag. of Ch. 9, p. 313, Frag. of Ch. 13, 14, p. 315.

(٦٠) ميخائيل السرياني، تاريخه، ٢/ ١٢٥.

(٦١) Le Goff & Biraben, La peste, p. 1492; Cameron, *The Mediterranean World*, p. 165.

ويُشار هنا إلى أن لوغوف هو صاحب فكرة التحقيب للأحداث التاريخية. انظر: لوغوف، جاك، هل يجب حقًا تقطيع التاريخ شرائح؟ ترجمة: الهادي التيمومي، المنامة: هيئة البحرين للكتابة والآثار، ٢٠١٨، ص ١٢ وما يليها. ولذلك تتبعه للطاعون كان أشبه بكاتب "بيوغرافيا"، يُقيمه حسب علاقته بالظواهر التاريخية والاجتماعية.

(٦٢) عن حياة جريجوري التوري (ت ٥٩٤م) ومؤلفاته راجع: الجنزوري، علية، جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت، ص ١٢- ٥٤؛ عمران، محمود سعيد، المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفيس من خلال كتاب الفرنجة، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠، ص ٥- ٢٦؛ أيضًا:

Wallace-Hadrill, J., "The Work of Gregory of Tours in the Light of Modern Research", *Transactions of the Royal Historical Society* 1 (1951), pp. 25- 45.

(63)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris: Société d`Edition "les Belles Lettres, 1963, tome 1, 4: 5.

(64)Annales of Ulster: A Chronicle of Irish Affairs, Vol. 1 (AD 431- 1131), Dublin, 1901, ann. 545; Also: Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology, p. 257.

(65)Harrison, Dick, "Plague, Settlement, and Structural Change at the Dawn of Middle Ages", *Scandia* 59, no. 1 (1993), p. 22.

(٦٦) ولذلك يُرجَّح أن أول موجة طاعونية نالت من الجزر البريطانية كانت سنة ٦٦٤م، وقد انتقل إليها من إيرلندة. انظر:

See: Adamnan, *Life of St. Columba*, ed. W. Reeves, Edinburgh, 1874, 2: 47; Bède le Vénérable, *Histoire écclesiastique du people anglaise*, trad. P. Monat & P. Robin, Paris: Les Editions du Cerf, 2005, 2: 47; 4: 1, Annales of Ulster, ann. 664; for more details see: MacArthur, William, "The Identification of Some Pestilences Recorded in the Irish Annals", *Irish Historical Studies* 6, no. 23 (1949), p. 177, Shrewsbury, John, *A History of Bubonic Plague in the British Isles*, London: Cambridge University Press, 1970, p. 13; Maddicott, John, "Plague in Seventh- Century England", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, Ed. L. Little, pp. 172- 173, 174- 175.

(67)Marius d'Avenches, *Chronique* "Memoirs et Documents", tome 3, Paris, 1853, an. 569.

(68)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 1, 4: 31.

(69)Ibid.

(70)Allen, Justinianic Plague, p. 15; Reff, D., *Plagues, Priests, Demons: Sacred Narratives and the Rise of Christianity*, Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 52.

(٧١) Marius d'Avenches, *Chronique*, an. 570, ann. 571. كان ماريوس أسقفًا على بلدة أفينش (السويسرية) منذ سنة ٥٧٤م، وصار يُنسب إليها. وقد وتوفي في مدينة لوزان Lausanne سنة ٥٩٤م. وتغطي حوليته السنوات بين (٤٥٥- ٥٨١م). راجع: Ibid, intro. الجنزوري، جريجوري التوري، ص ٥٦- ٥٧.

(72)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris: Société d`Edition "les Belles Lettres", 1965, tome 2, 6: 14, 33.

(73)Gregory of Tours, *Glory of the Confessor*, trans. R. Van Dam, Liverpool, 1988, 78, pp. 795- 796.

(74)Kulikowski, M., "Plague in Spanish in Late Antiquity", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed. L. Little, p. 153.

(75)Wooding, Jonathan, *Communication and Commerce along the Western Sealanes*, AD 400-800, Sydney: University of Sydney, 1993, pp. 64- 68, 93- 104; Little, Life and Afterlife of the First Plague Pandemic, p. 10.

(76)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 2, 9: 21.

(77)Ibid, 2, 9: 22.

(78)Allen, The Justinianic Plague, p. 15, Reff, *Plagues, Priests, Demons*, p. 42.

(79)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 2, 10: 23.

(80)Gregory the Great, *Dialogues*, trans. O. J. Zimmerman, Washington: The Catholic University of America Press, 1959, 4 (19:2, 27:7, 37:4, 40:3).

(81)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 2, 10: 1.

(82)Ibid, 10: 25.

(83)Ibid.

(٨٤) انتشرت أمراض في الغرب الأوربي تُشبه في أعراضها الطاعون الجستنياني، مثل التيفوس والتيفوئيد والجُدري والجذام. وهي أمرض مُعدية وتُسبب طفوح جلدية. انظر: سورنيا، جان شارل: تاريخ الطب، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، عالم المعرفة، عدد ٢٨١، الكويت، ٢٠٠٢، ص ١٠٧- ١٠٨؛
Mordechai et, al. The Justinianic Plague, p. 2.

(٨٥) Paul Diacre, *Histoire des Lombards*, trad. F. Bougard, Turnhout: Brepols, 1994, 2. 4. وعن بولس (ت حوالي سنة ٧٩٧م) راجع: intro, pp. 5- 11.

(86) Paul Diacre, *Histoire des Lombards*, 3. 24.

(87) Ibid, 4. 4.

(88) Ibid, 4. 14.

(٨٩) Ibid, 6. 5. والغريب أن هذه الموجة هي الوحيدة - من الخمس موجات- التي ذكرها الكتاب البابوي.
Liber pontificalis, ed. T. Mommsen, *Gesta Pontificum Romanorum*, vol. 1, Wiesbaden, 1898, p. 193- 194.

(90)*Gregorii I papae, Registrum Epistolarum*, tomes 1- 2, ed. L. Hartmann, Berlin, 1892- 1895, vol. 1, 9: 232, vol. 2, 10: 20, Also: Stathakopoulos, Crime and Punishment, p. 103.

(91) Paul Diacre, *Histoire des Lombards*, 2. 4.

(92) Sallares, Ecology, p. 258; McCormick, Toward a Molecular History, p. 297.

(93) Hays, Historians and Epidemics, p. 43.

(94) Diehl, Charles, *L`Afrique byzantine: Histoire de la domination byzantine*, 2ième New York, 1959, p. 339.

(95) Zinsser, Hans, *Rats, Lice, and History*, London, 1935, pp. 145- 149.

(96) Sigerist, Henri, *Civilization and Diseases*, New York: Cornell University Press, 1945, pp. 113- 115.

(97) Hirst, Fabian, *The Conquest of Plague: A Study of the Evolution of Epidemiology*, Oxford: Clarendon Press 1953, pp. 10- 12, 125- 126.

(98) Dols, Michael, "Plague in Early Islamic History", *Journal of the American oriental Society* 94, no. 3 (Jul. Sept. 1974), p. 372.

(99) Harper, Kyle, *The Fate of Rome: Climate, Disease, and the End of an Empire*, Princeton: Princeton University Press, 2017, pp. 199- 202.

(١٠٠) تصدّى هالدون وآخرون للرد على فكرة هاربر في اتّخاذ الطاعون معيارًا للاستيطان البشري.
Haldon, J., et al., Plagues, Climate Change, and the End of an Empire: A Response to Kyle Harper's The Fate of Rome (3): Disease, Agency, and Collaps, *Wiley Online Library*, 16, iss.12 (2018),pp. 1-10.https://doi.org/10.1111/hic3.12507,

(101) Sawyer, Peter, *From Roman Britain to Norman England*, 2nd ed. London- New York: Routledge, 1998, pp. 85- 86; Maddicott, Plague in Seventh- Century, pp. 196- 197.

(102) See: Seger, Tapio, Plague of Justinian and Other Scourges, *Journal of Swidish antiquarian research*, 77 (1982), pp. 184- 194.

(103) Russell, That Earlier Plague, pp. 178- 184.

(104) Le Goff & Biraben, La peste dans le haute moyen âge, pp. 1498- 1499.

(105) Le Goff & Biraben, La peste dans le haute moyen âge, p. 1508; Biraben, Jean-Noël. *Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens*, Paris, 1975, tome 1, pp. 44- 45; Sallares, Ecology, Evolution, pp. 286- 287; Little, Life and Afterlife, pp. 15- 16.

(106) Biraben, *Les hommes et la peste en France*…, tome 1, p. 33.

(107) McNeill, W., *Plagues and Peoples*, New York: Anchors, 1976 pp. 114- 116.

(١٠٨) جوتفريد، روبرت، الموت الأسود: جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة وتقديم: عبادة كحيلة، القاهرة: المركز القومي للترجمة: ٢٠١٧، ص ٣٧- ٣٩؛ علي، الفناء الكبير، ص ١٥٦.

(109) Evans, *The Age of Justinian*, p. 160; idem, *The Emperor Justinian*, pp. xxxvi, 24; Allen, Justinianic Plague, pp. 10- 12; Brandes, Wolfram, "Byzantine Cities in the Seventh and Eighth Centuries, Different sources, Different Histories?", in *The Idea and Ideal of the Town between Late Antiquity and the Early Middle Ages* (Transformation of the Roman World, 4). ed. G. Brogiolo & B. Ward- perkins, Leiden, 1999, pp. 25- 57.

(110) Rosen, *Justinian`s Flea*, p. 209; Pieter & Cilliers, The Epidemic of Justinian, p. 123.

(111) Liebeschuetz, John, *Decline and Change in Late Antiquity: Religion, Barbarians, and their Historiography*, London: Routledge, 2006, pp. 52- 54, 390- 392; Findlay, Ronald & Lundahl, Mats, (ed.), "Demographic Shocks and the Factor Proportions Model: From the Plague of Justinian to the Black Death", in *The Economics of the Frontier: Conquest and Settlement*, London: Palgrave, 2016, p. 159- 163.

(112) Horden, Mediterranean Plague in the Age of Justinian, p. 149.

(113) Antoniou, Ioannis & Sinakos, Anastasios, "The Sixth-Century Plague, its Repeated Appearance until 746 AD and the Explosion of the Rabaul Volcano", *Byzantinische Zeitschrift* 98, iss. 1 (2008), pp. 1- 4.

(114) Eisenberg & Mordechai, Justinianic Plague, p. 174.

(115) Harrison, Plague, Settlement, and Structural Change, p. 27.

(116)Sallares, Ecology, Evolution, p. 254; for more details: Cohn, S., The Black Death: End of a Paradigm, *The American Historical Review* 107, iss. 3 (June, 2002), pp. 703- 738; idem, Epidemiology of the Black Death and Successive Waves of Plague, *Medical History, Supplement* 27 (2008), pp. 74- 100.

(117)Stathakopoulos, Crime and punishment, pp. 117- 118; Meier, The Justinianic Plague, p. 271; idem, "The Justinianic Plague: An Inconsequential pandemic? A Reply", *Medizinhistorisches Journal* 55, iss. 2 (June 2020), pp. 178 ff.

(١١٨) راجع: كانتور، نورمان، العصور الوسطى الباكرة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٣- ٤٦؛ لوغوف، جاك، هل وُلدت أوربا في العصر الوسيط؟ تعريب: محمد حناوي، ويوسف نكداي، الرباط: مطبعة مُفكر، ٢٠١٥، ص ٢١ وما يليها. أيضًا: Haldon, John, "Late Rome, Byzantium, and Early Medieval Western Europe", in *Fiscal Regimes and the Political Economy of Premodern States*, ed. A. Monson & W. Scheidel, New York: Cambridge University Press, 2015, pp. 372- 383; Cooper, K. & leyser, C. (ed.), *Making Early Medieval Societies: Conflict and Belonging in the Latin West 300- 1200*, Cambridge, 2016, intro., pp. 1- 15.

(119)Durliat, La peste du VI siècle, pp. 107- 119; for more details:; Benovitz, Nancy, "The Justinianic Plague: Evidence from the Dated Greek Epitaphs of Byzantine Palestine and Arabia", *Journal of roman archaeology* 27 (2014), pp. 491- 492; Meier, Justinianic Plague, pp. 267- 269.

(120)Durliat, La peste du VI siècle, pp. 109- 110.

(121)Foss, Clive, "Syria in Transition, 550-750: An Archaeological Approach", *Dumbarton Oaks Papers* 51 (1997), p. 260; Kennedy, Justinianic Plague, pp. 88- 89.

(122)Durliat, La peste du VI siècle, p. 112.

(123)Conrad, Lawrence, "Epidemic Disease in Central Syria in the Late Sixth Century", *Byzantine and Modern Greek Studies* 18 (1994), pp. 12- 59.

(124)Whittow, Mark, *The Making of Orthodox Byzantium, 600-1025* AD, California: University of California Press, 1996, pp. 66- 68.

(125)Wickham, Chris, *Framing the Early Middle Ages: Europe and the Mediterranean 400–800*, Oxford: Oxford University Press, 2005, 548- 549.

(126)Haldon, John, "Framing the Early Middle Ages" *Historical Materialism* 19 (1) (2011) p. 67.

(127)Harrison, Plague, Settlement, and structural Change, p. 29.

(128)Randsborg, Klavs, *The First Millennium AD in Europe and the Mediterranean: An archaeological Essay*, New York: Cambridge University Press, 1991, pp. 68- 69.

(129)Harrison, Plague, Settlement, and Structural Change, p. 30.

(130)Ibid, pp. 30- 31.

(131)Gundersen, Ingar, "The Fimbulwinter Theory and the 6th Century Crisis in the Light of Norwegian Archaeology: Towards a Human-Environmental Approach", *arkeologisk tidsskrift* 21 (Dec. 2019), p. 103.

(132)Solheim, Steinar & Iversen, Frode, "The Mid-6th Century Crises and their Impacts on Human Activity and Settlements in South-eastern Norway" *Ruralia* 12(2019), pp. 424 ff.

(133)Hays, Historians and Epidemics, pp. 36- 37.

(134)Allen, The Justinianic Plague, p. 18; Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology, p. 258; Hays, Historians and Epidemics, p. 46.

(١٣٥) سورنيا، تاريخ الطب، ص ١٠٩.

(136)Markus, Robert, *Gregory the Great and his World*, Cambridge, 1997, p. 5.

(137)Eisenberg & Mordechai, The Justinianc Plague, p. 176.

(138)Mordechai et, al. The justinianic plague: An Inconsequential Pandemic? p. 5.

(139)Rosenberg, Charles, *Explaining Epidemics and other Studies* in the History of the Medicine, Cambridge: Cambridge University Press, 1992, pp. 294- 295.

(140)See: Duby, Georges, *The Early Growth of the European Economy*, trans. H. Clarke, Ithaca- New York: Cornell University Press, 1974, pp. 3- 4; Harrison, Plague, Settlement, pp. 35- 37; Périn, Patrick & Kazanski, Michel, "Identity and Ethnicity during the Era of Migrations and Barbarian kingdoms in the Light of Archaeology in Gaul", in *Romans, Barbarians, and the Transformation of the Roman World*, ed. R. Mathisen & D. Shanzer, Farnham: Ashgate, 2011, pp. 300- 310.

(141)See: Hodges, Richard & Whitehouse, David, *Mohammed, Charlemagne, and the Origins of Europe: Archaeology and the Pirenne Thesis*, Ithaca- New York: Cornell University Press, 1983, p. 52.

(142)Ward- Perkins, Bryan, *From Classical Antiquity to the Middle Ages: Urban Public Building in Northern and Central Italy, AD 300-850*, New York: Oxford University Press, 1984, pp. 52- 84.

(143)Hodges, R., Adriatic Sea trade in a European Perspective, *Scottish Archaeological Journal* 32, no. 2 (2010), pp. 95-119 esp. pp. 98- 99.

(144)Harrison, Plague, Settlement, and Structural Change, p. 32.

(145)Ibid, pp. 32- 33.

(146)Mordechai et, al. The Justinianic Plague: Inconsequential Pandemic?, p. 5.

(147)Innes, Matthew, *State and Society: The Middle Rhine Valley 400- 1000*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000, pp. 170- 173.

(148)Little, Life and Afterlife, p. 14.

(149)Bachrach, Bernard, Plague, Population, and Economy in Merovingian Gaul, *Journal of the Australian early medieval association* 3 (2007), pp. 29- 56.

(150)James, Edward, "Burial and Status in the Early Medieval West", *Transactions of the Royal Historical Society* 39 (1989), pp. 23- 40.

كان لتطبيق تحليلات الـ DNA مؤخرًا دور في توجيه مؤشرات البحث نحو مواقع الدفن؛ فقد أشار البعض إلى وجود الطاعون في مدن سنس Sens وفيين Vienne وبواتييه Poitiers في فرنسا من خلال دراسة بقايا المقابر فيها. وفريقٌ آخر أكّد على وجوده في بافاريا العليا بألمانيا من خلال دراسة مقابر هناك. انظر:

Meier, The Justinianic Plague, pp. 275- 276; Eisenberg & Mordechai, pp. 169- 171.

(151)Effros, B., *Merovingian Mortuary Archaeology and the Making of the Early Middle Ages*, Berkeley- Los Angeles- London: University of California Press, 2003, pp. 3, 5.

(152)Halsall, Guy, *Cemeteries and Society in Merovingian Gaul: Selected Studies in History and Archaeology*, Leiden- Boston: Brill, 2009, pp. 2- 12.

(153)Périn & Kazanski, Identity and Ethnicity during the Era of Migrations, pp. 310- 321.

(154)Haldon, J., et al., Plagues, Climate Change, pp. 2- 3, Eisenberg& Mordechai, Justinianc Plague, pp. 167- 168; Mordechai et, al. Justinianic Plague, pp. 6- 8.

(155)Kulikowski, Plague in Spanish in Late Antiquity, p. 155.

(١٥٦)Collins, Roger, *Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400–1000*, London, 1983, pp 88 ff. وكلمة زينودوكيوم في الأصل يونانية وتعني نزل الغرباء، وقد استخدمت منذ أواخر القرن الثالث الميلادي، وكانت تُطلق على مباني أشبه بالفنادق مخصصة لإيواء الغرباء والفقراء، ثم غدت تستقبل المرضى، ولذلك تحول بعضها فيما بعد إلى مستشفيات. راجع:

Miller, T., *The Birth of the Hospital in the Byzantine Empire*, Baltimore- London, 1985, pp. 26- 28, Thomas, John, *Private Religious Foundations in the Byzantine Empire*, Washington: Dumbarton Oaks Studies, 1987, pp. 46- 62.

(157)Kulikowski, Plague in Spanish in Late Antiquity, p. 150.

(158)Kulikowski, Plague in Spanish in Late Antiquity, pp. 152- 153, 158- 159.

(159)Kulikowski, M., *Late Roman Spain and its Cities*, Baltimore: The John Hopkins University, 2010, pp. 287 ff.

(١٦٠) من الغريب أن تواريخ إسبانيا وحولياتها لم تُشر إلى حلول طاعون القرن السادس، وإنما جاءت الإفادات من مصادر خارجية، مثل: فكتور التونسي، وجريجوري التوري. وهناك حصرٌ لأهم مصادر وحوليات التاريخ الوسيط الباكر لإسبانيا في كتاب: Conquerors and chroniclers of early medieval Spain لم يُشر أي منها إلى الطاعون.

(161)Kulikowski, Plague in Spanish in Late Antiquity, p. 155.

(162)Harrison, Plague, Settlement, and Structural Change, pp. 33, 38- 39.

(163)See: Hays, Historians and Epidemics, p. 50.

(164)John Ephesus`s Ecclesiastical History, pp. 105- 106; Procopius, Secret History, 23, Evagrius, Ecclesiastical History, 30, Also: Metcalf, David, "The Metrology of Justinian follis", *The Numismatic Chronicle and Journal of the Royal Numismatic Society* 20, (1960), pp. 210- 219; Sarris, Justinianic Plague, pp. 175- 178; Hays, Historians and Epidemics, pp. 37- 38.

(165)Conrad, Lawrence, "The Plague in Bilād al-Shām in Pre-Islamic Times", in *Proceedings of the Symposium on Bilad Al-Sham During the Byzantine Period*, ed. M. Adnān al-Bakhīt & M. Aṣfūr, Amman, (15- 19 Nov. 1983), pp. 143- 163.

(166)Wickham, *Framing the Early Middle Ages*, pp. 33- 55, 56 ff.

وللمزيد: هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، القاهرة: دار عين ١٩٩٧، ص ٣٢- ٣٣.

(167)Eisenberg & Mordechai, The Justinianc Plague, p. 168.

(168)Wickham, *Framing the Early Middle Ages*, pp. 468- 481.

(169)Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology of Plague, p. 287.

(170)McCormick, M., *Origins of the European Economy: Communications and Commerce A D 300- 900*, Cambridge: Cambridge University Press, 2001, pp. 64- 82; Merrills, A. & Miles, R., *The Vandals*, London: Wiley- BlackWell, 2010, pp. 231- 232 ff.

(171)Le Goff & Biraben, La peste, p. 1499; McCormick, M., "Bateaux de vie, bateaux de mort. Maladie, commerce, transports annonaires et le passage economique du bas-empire au moyen age", *Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo* 1 (1998), p. 59.

(172)Procopius, *History of Wars*, vol. 1, 2. 22; John Ephesus`s Ecclesiastical History, p. 96.

(173)Biraben, *Les hommes et la peste en France*, tome 1, pp. 25- 44.

(174)Pieter & Cilliers, The Epidemic of Justinian, p. 118.

(175)Little, Life and Afterlife, p. 3; Hays, Historians and Epidemics, p. 39.

(176)Cohn, The Black Death, pp. 716- 717; Hays, Historians and Epidemics, p. 51; for more details: McCormick, M., "Rats, Communications, and Plague: Toward an Ecological History", *Journal of Interdisciplinary History* 34, iss. 1 (2003), pp. 1- 25; idem, Bateaux de vie, bateaux de mort, pp. 35- 118.

(١٧٧) يؤكد المتخصص في الجزيئات الحيوية روبرت سالاريس أن الطاعون الدملي لا تنتقل عدواه من البشر إلى البشر، أي أنه يجب أن يُلدغ الإنسان من برغوث جرذي حتى تُنقل إليه العدوى. ويُرشح الفئران السوداء *Rattus Rattus* بوصفها نموذجًا مثاليًا لحمل البراغيث ناقلة الطاعون. وهي فئران برية، لا تسافر بعيدًا، تدفعها التغيرات البيئية إلى الاقتراب من مواطن البشر. Sallares, Ecology, p. 267 وقد طرح مايكل مكورميك فرضيتين لتفسير وصول الطاعون إلى الغرب الأوربي؛ أولًا: فئران نقلته من الشرق إلى الغرب عبر الشحنات التجارية. ثانيًا: افترض أن الجرذان السوداء حاملة العدوى كانت تعيش في مكبات القمامة قرب المواقع الحضرية، ومن هناك نقلته إلى البشر. وبذلك يُقدّم مكورميك الطاعون بوصفه ظاهرة داخلية في المجتمع الغربي: McCormick, Toward, pp. 303, 308 وقد حاول البعض علاج هذه الإشكالية بأن افترض أن حاويات المرض انتقلت من الفئران إلى البشر، فصارت البراغيث البشرية والقمل تنقل العدوى. ولكن هذا الأمر أيضًا لم يُقره الباحثون التطبيقيون. راجع: Eisenberg & Mordechai, The Justinianc plague, pp. 165- 166. وعلى أية حال تُرجّح البيولوجية "مارجولين شات" أن مخازن الغلال في الإسكندرية وروما والقسطنطينية تكفلت بتوفير بؤر للجرذان حاملة العدوى. انظر:Schat, Justinian`s foreign policy and the plague . ولا يزال البحث يتتبع مواطن الجرذان حتى أن البعض- متجاهلًا صمت المصادر التاريخية- تابع التنقيب المحموم عن بقايا الجرذان، وذلك للاستدلال على أنّه ضرب شمال أوربا بالتزامن مع السواحل المتوسطية للغرب الأوربي. انظر:Harrison, Plague, p. 23 .

(178)Maddicott, Plague in Seventh- century England, p. 174.

(179)Allen, The Justinianic Plague, pp. 19- 20.

(180)McCormick, Toward a Molecular History, pp. 303, 310- 311.

(181)Brown, Peter, *The Rise of Western Christendom*, 10th ed. London: Blackwell, 2013, p. 125; Keys, David, *Catastrophe: An Investigation into the Origins of the Modern World*, New York: Ballantine, 1999, pp. 15 ff. كان القمح لدى وصوله إلى وجهته يتم تشوينه في الصوامع التي رُبّما تحولت إلى بؤر لتصدير الوباء بما أن الجرذان كانت تختبئ في الغلال. انظر: Schat, Justinian`s foreign policy and the plague.

(182)Harrison, Plague, Settlement, and Structural Change, p. 24.

(183)Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 2, 9: 21- 22, 10: 25, Also: Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology of Plague, p. 267.

(184)Kulikowski, Late Roman Spain and its Cities, pp. 290- 309.

(185)Durliat, La peste du VI siècle, pp. 110- 111.

(186)See: Middleton, Neil, Early Medieval Port Customs, Tolls and Controls on Foreign Trade, *Early Medieval Europe* 13 (4), (2005), p. 318.

(١٨٧) منذ عهد الإمبراطور قنسطنطين كان قمح مصر تُؤخذ منه حصة لسكان القسطنطينية، وأما روما القديمة فأخذت نصيبها من قمح إفريقية. راجع: Evans, *The Age of Justinian*, p. 32. على أنَّ روما خسرت حصتها منذ أن استولى الوندال على إفريقية في ثلاثينيات القرن السادس. انظر: عمران، محمود سعيد. مملكة الوندال في شمال أفريقيا، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥، ص ٢٦ وما يليها.

Merrills & Miles, *The Vandals*, pp. 147- 149.

(188)Horden, Peregrine & Purcell, Nicholas, *The Corrupting Sea: A Study of Mediterranean History*, New Jersey: Wiley Blackwell, 2000, pp. 298 ff.

(189)Wickham, Chris, *Medieval Europe*, New Haven: Yale University Press, 2016, pp. 43- 44.

(190)Sallares, Ecology, Evolution, pp. 287; and more details in: idem, "Disease", in *A Companion to the Mediterranean History*, ed. P. Horden & S. Kinoshita, New Jersey: Wiley Blackwell, 2014, pp. 250- 262.

(191)Mordechai et, al. The Justinianic Plague: Inconsequential Pandemic? p. 5.

(١٩٢) Kulikowski, Plague, p. 152. ويناقض كوليكوفسكي نفسه، فيقول في موضع آخر p. 153 أن تجارة إسبانيا مع العالم المتوسطي قد تقلصت منذ ثمانينيات القرن الخامس، واقتصرت فقط على الطريق الملاحي بين قطالونيا ونار بونة.

(193)Maddicott, Plague in Seventh- century England, p. 174.

(194)Kulikowski, Plague in Spanish in Late Antiquity, p. 156.

(195)Randsborg, *The First Millennium AD in Europe*, pp. 68- 69.

(196)Bachrach, Bernard, *Merovingian Military Organization 481- 751 AD*, Minnesota: University of Minnesota Press, 1972, pp. 65- 73; Fouracre, P. & Gerberding, R., *Late Merovingian France: History and Hagiography (64- 720 AD)*, Manchester- New York: Manchester University Press, 1996, intro.

(١٩٧) انظر التفاصيل في: كوريبّوس، ملحمة الحروب الليبية، كتاب (٢) و(٣).

(198)Procopius, *History*, 7: 39- 40; 8: 22. 17- 18; 8: 24. 31- 33; Also: Halsall, Guy, *Barbarian Migration and the Roman West (376-568)*, Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2007, pp. 504- 505.

(199)Isidore of Seville, History of the kings of the Goths, 47, in *Conquerors and Chroniclers of Early Medieval Spain*; Jordanes, *Getica: History of Goths*, trans. Ch. Mierow, New York, 1915, 58: 303; Also: Halsall, *Barbarian Migration*, pp. 505- 507.

(٢٠٠) لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠- ١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٦- ٤٩؛ غنيم، إسمت، إمبراطورية جستنيان، جده، ١٩٧٧، ص ٤٠.

(201)See details in: Evans, *The Age of Justinian*, pp. 233- 234.

أيضًا: غنيم. إمبراطورية جستنيان، ص ٥٥.

(٢٠٢) مما يجدر ذكره أنَّ رحالة إيطالي قصد في سنة ٥٧٠م من مدينة القسطنطينية إلى بيت المقدس مارًّا بسوريا، وترك وصفًا لرحلته، ولم يتحدّث نهائيًا عن الوباء: *The Piacenza Pilgrim*, trans. Andrew S. Jacobs فهل يوحي ذلك بهدوء سواحل البحر المتوسط وخلوها من أثر الطاعون؟

(٢٠٣) هايد، فلهلم، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ١/ ٣٥- ٣٦؛ لويس، القوى البحرية، ص ٥١- ٥٤؛ رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ١٩٥- ١٩٨؛ وعن الازدهار المالي إبّان حكم جستنيان، راجع: غنيم، إمبراطورية جستنيان، ص ٥٣- ٥٧؛ الشاعر، السياسة الشرقية، ص ١١٢- ١١٧.

(204)Leontius of Neapolis, Life of St. John the Almsgiver, in *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, trans. E. Dawes, London, 1948, 28.

(205)Leontius of Neapolis, Life of St. John the Almsgiver, 45.

(206)Gregorii I, *Registrum Epistolarum*, No. 6: 58; 7: 37: 8: 29; 9: 175; 13: 45.

(207)Leontius of Neapolis, Life of St. John the Almsgiver, 10.

(208)Gregorii I papae, *Registrum Epistolarum*, No. 6: 58; 7: 37; 9: 175.

(209)Ibid, No. 11: 16.

(210)Le Goff, Jacques, *Medieval civilization*, trans. J. Barrow, New Jersey: Wily-Blackwell, 1988, p. 25; Wood, Ian, *The Merovingian kingdoms*, London & New York: Longman, 1994, pp. 84, 217- 218.

(211)Innes, *State and Society: The Middle Rhine Valley 400- 1000*, p. 173.

(٢١٢) شاع استخدام الصوليدي البيزنطي *aureus solidus* في الغرب الجرماني، وكان يُسمّى سو Sou، وكان يُضرب من الذهب، ووزنه يدور حول أربع جرامات ونصف. وقد اكتسب في القرن السادس الميلادي قيمة كبيرة في مملكة الفرنجة الميروفنجيين ومملكة القوط الشرقيين ومملكة اللمبارديين.

Bloch, Marc, Le problème de l`or au moyen age, *Annales d'histoire économique et sociale*, Tome 5, no. 19 (Jan.1933), pp. 2, 7- 8.

(٢١٣) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ١/ ٣٥؛ لويس، القوى البحرية في البحر المتوسط، ص ٦٩.

(٢١٤) هايد، تاريخ التجارة، ١/ ٣٤- ٣٦؛ لويس، القوى البحرية، ص ٦٥- ٦٦، ٦٨- ٦٩.

(215)Innes, Matthew, "Economies and Societies in Early Medieval Western Europe", in *A Companion to the medieval world*, ed., C. Lansing & E. English, London: Wily-Blackwell, 2009, p. 18.

(٢١٦) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ١/ ٣٥- ٣٧؛ لويس، القوى البحرية، ص ٧٠- ٧٢.

(217)Masschaele, James, Economic Takeoff and the Rise of Markets, in "*A Companion to the Medieval World*", pp. 87- 110.

(218)Wickham, *Framing of Europe*, p. 474, Innes, Economies and Societies, pp. 18, 21- 23.

(٢١٩) ليتورجيا ترجع إلى أصل يوناني λειτουργία وتعني خدمة الناس. وهي تُشير في المسيحية إلى الطقوس الدينية والشعائر الاحتفالية. ولا يُمكن الوقوف على تاريخ دقيق لبدايتها، لكنّها عُرفت على نطاق واسع منذ القرن الرابع الميلادي مع تزايد وتيرة التنصير. وقد ارتبطت في البداية باحتفالات التناول (الأفخارستيا) والتعميد، ثم توسعت ليتم إقامتها بالتزامن مع المحن والنوازل. وكان يطرأ تعديلات على جوهر هذه الاحتفالات حسب توجيه الكنيسة، فيتم من خلالها التوجّه بالدعاء إلى المسيح والعذراء، واستجداء الذين تم تقديسهم من الشهداء الأوائل. وقد تتواصل الشعائر ثلاثة أيام، حيث يقوم رجال الدين بحثّ الناس على الصوم والدعاء. راجع:

Schultz, Joachim, *The Byzantine Liturgy: Symbolic Structure and Faith Expression*, 2nd ed., New York, 1986, intro., and pp. 3 ff, Baldovin, John, *The Urban Character of Christian Worship*, Rome: Pontificio Istituto Orientale, 1987, pp. 167- 226.

(220) Evans, *Age of Justinian*, p. 161; Stathakopoulos, Crime and Punishment, p. 112, Sallares, Ecology, Evolution and Epidemiology, p. 234.

(٢٢١) (متى، ٢٤: ٧).

(٢٢٢) Grégoire, 2, 10: 25 وهو يقتبس من الإنجيل القول: "فإنَّ كثيرين سيأتون بإسمي قائلين: أنا هو المسيح! ويُضلون كثيرين. (متى، ٢٤: ٥) (مرقس، ١٣: ٢٢). يروي جريجوري التوري أن رجلًا قدم – ربما في العام ٥٨٠م- من إسبانيا إلى مُدن غرب غالة، كان يحمل صليبًا، وإدّعى أن معه بقايا من شهداء إسبانيا إبان عصر الاضطهاد: القديسين فنسنت وفيلكس. وأنه من خلالهما يُمكنه علاج المرضى. ويذكر جريجوري أيضًا أن رجلًا يُدعى ديسدريوس Didier ظهر في مدينة تور بين سنتي ٥٨٦- ٥٨٧م، أعلن أنه على تواصل مع المباركين بولس وبطرس، وأنه أوتي قُدرات تُشبه معجزات المسيح، مثل معالجة الضرير والكسيح وإحياء الموتى. وقد كان دعيًّا يُمارس السحر وطقوس تحضير الأرواح (النكرومانسي)، وكان له مُساعدين يُنقذون

حيله. وقد صدّقه جمهور من الناس، وجاؤوه يلتمسون العلاج من أسقامهم. Grégoire de Tours, tom. 2, 9: 6. ويروي التوري أيضًا قصة الحطّاب. وهو رجل من مدينة بيري Berry بوسط غالة، بينما كان يحتطب في غابة كثيفة أحاط به سربٌ من الذباب، فأذهل عقله مدّة عامين. ويظن جريجوري أن الشيطان سكن الرجل في هذه اللحظة. وقد ذهب إلى آرل وهناك أظهر تدينه وارتدى مسوحًا من الجلد، وجعل لنفسه صلوات خاصة. ثم قصد إلى مقاطعة جيفودان Gévaudan وأعلن- دون خوف أو خجل- أنه المسيح. واصطحب معه امرأة اسمها مريم، مُدّعيًا أنها أمه. وقد صدّقه جمع غفيرٌ من الناس وقصدوه للاستشفاء، وتسابقوا على لمسه والتبرّك به. وأفاضوا عليه بالأعطيات: ذهبًا وفضة وملابس. وانتهي به الأمر إلى أن قُتل في بلدة فيلى Vélay. انظر: Ibid, 2, 10: 25.

(223)Ibid, Also: Little, Life and Afterlife of the First Plague Pandemic, pp. 26- 27.

(224)Ibid, pp. 29- 31.

(٢٢٥) من هذه الأسماء ظهرت في الغرب: القديسة أبوللونيا St. Apollonia التي قتلت في الإسكندرية سنة ٢٤٩م، بعد نزع أسنانها وتكسير عظامها. والقديس سيباستيان St. Sebastian (٢٥٦- ٢٨٨م) الذي رُشق في روما بالسهام، وصبر على آلام الموت. والقديسة لوسي St. Lucy (٢٨٣- ٣٠٤م) التي عاشت في صقلية، وجرى اقتلاع عينيها قبل قتلها. انظر:

Marshall, L., Manipulating the Sacred Image and Plague in Renaissance Italy, *Renaissance Italy* 47, no. 3 (1994), pp. 488- 493 ff, Little, Life and Afterlife, p. 30; Kelly, Kate. *History of Medicine*, vol. 2, New York: Facts on File, Inc, 2009, p. 45.

وفي الشرق ذاع صيت الأخوين قزما ودواميان، اللذين قُتلا في سنة ٢٨٧م. وكانا يُطببان المرضى من دون مقابل. وقد كرّست لهما كنائس منذ القرن الرابع الميلادي. وتمتّعا بشهرة عريضة في الغرب: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٧٣، ١٠٦.

(٢٢٦) أقرت الأمومة الإلهية للسيدة العذراء في مجمع أفسيس عام ٤٣١م. ثم وُضعت لها ترنيمة باسم *Akathistos* بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وكان يُقام لها في الكنيسة الشرقية احتفالًا خاصًا في السبت الخامس من الصوم الكبير. راجع: Stoclet, Alain, "Seeking Succor and Solace in Times of Plague, with Particular Reference to Gaul in the Early Middle Ages", in *Plague and the End of Antiquity 541- 750*, ed. L. Little, pp. 138- 142; Meier, Justinianic Plague, pp. 285- 286.

(227)Meier, The Justinianic Plague, p. 286; idem, "The Justinianic plague: An Inconsequential Pandemic? A Reply", p. 188.

(228)Stoclet, Seeking Succor, pp. 137- 142; Also: Hays, Historians and Epidemics, p. 37.

(229)Nutton, Vivian, From Galen to Alexander: Aspects of Medicine and Medical Practice in Late Antiquity, *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), p. 8- 9; Stathakopoulos, Crime and Punishment, pp. 105- 106.

(230)Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology, p. 234.

(231)Le Goff, Jacques, Culture cléricale et traditions folkloriques dans la civilisation mérovingienne, *Annales*, 22- 4 (Ann. 1967), pp. 780- 791.

(٢٣٢) Le Goff & Biraben, La peste, p. 1498. وانظر: سفر أيوب (٢: ٧- ٨).

(233)Stathakopoulos, Crime and punishment, p. 109.

(234)Brown, Peter, *Society and Holy in Late Antiquity*, Berkeley - Los Angeles: University of California Press, 1982, pp. 18- 19.

(235)Reff, *Plagues, Priests, Demons*, p. 72.

(236)Sallares, Ecology, Evolution, and Epidemiology of Plague, p. 238.

(٢٣٧) Kelly, *History of Medicine*, vol. 2, p. 21. وانظر: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٩٥.

(238)See: Hays, Historians and Epidemics, pp. 34- 35.

(٢٣٩) عاش أناستاسيوس في القرن السابع الميلادي، وكان راهبًا في دير سانت كاترين بسيناء. وله عدّة مؤلفات منها: الطريق القويم *Viae dux* والروايات *Narrationes*، وتساؤلات وأجوبة *Quaestiones et Responsiones* الذي تعرَّض فيه لمفاصل الحياة اليومية للمسيحي العادي، مُحاولًا أن يُقدّم لمعيشته نموذجًا دينيًا مثاليًا. انظر:

Haldon, John, "The Works of Anastasius of Sinai: A Key Source for the History of 7th Century East Mediterranean Society and Belief", in *The Byzantine and Early Islamic Near East*, ed. A. Cameron & L. Conrad, Princeton & New Jersy: The Darwin Press, INC: 1992, pp. 107- 116 ff.

(240)Anastasi monachi monti Sinai, Quaestio 114, P G, ed. Migne, vol. 89, Paris, 1805, col. 758; Also: Haldon, The Works of Anastasius of Sinai, p. 136, n. 55.

كان هناك مُعتقد منذ عصر جالينوس أن الهواء الفاسد *misma* هو أصل الأوبئة:

Stathakopoulos, Crime and Punishment, p. 107.

(241)Stathakopoulos, Crime …, pp. 107- 109; Meier, Justinianic plague, p. 283.

أيضًا: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٧٥- ٧٧.

(٢٤٢) ينتمي الإسكندر إلى عائلة مرموقة، ذاع صيتها في القسطنطينية. فوالده كان فيزيائيًا. وله إخوة بعضهم اشتغل بالطب، وبعضهم اشتغل بالمحاماة. وقد سافر الإسكندر إلى إيطاليا وغالة، ثم أقام في روما حتى وفاته في مطلع القرن السابع. وقد ترك كتابًا في الطب، بقيت منه فصولًا غير مُكتملة. Agathias, Histoires, 5, 6: 5; Nutton, From Galen, pp. 8- 9.

أيضًا: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٧٠- ٧١.

(٢٤٣) Alexander of Tralles, *The Latin Alexander Trallianus: The Text and Transmission of a Late Latin Medical Book*, trans. D. Langslow, London: Society for the Promotion of Roman Studies, 2006. تأثر أطباء القرن السادس بالفكر الجالينوسي عن الأخلاط الأربعة، وبآراء روفينوس الأفسيسي (القرن الأول الميلادي)، وبآراء أنتيللوس Antyllus والإسكندر الأفروديسي في القرن الثالث. وأيضًا أوريباسيوس في القرن الرابع الميلادي. ورغم ذلك اجتهدوا في التعامل مع الوباء؛ فيذهب البعض إلى أنهم استخدموا الخشخاش المُخدّر لتسكين آلام المرض، كما أنهم شجّعوا على اتباع سياسة الحجر الصحي، لعزل المرضى عن الأصحاء. وقد ذاع صيت الطبيب البيزنطي إيتيوس الأميدي Aetius of Amida في القرن السادس، كما اشتهر في القرن السابع الطبيب السكندري بولس الأجانيطي Paul of Aegina.

Vikan, Gary, "Art, Medicine, and Magic in Early Byzantium", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), pp. 67- 74; Stannard, Jerry, Aspects of Byzantine Materia Medica, Ibid, pp. 205- 211; Atkinson, John, The Plague of 542: Not the Birth of the Clinic, *Acta Classica* 45 (2002), pp. 5- 9 ff; Pieter & Cilliers, The Epidemic, p. 125; Rosen, Justinian`s Flea, pp. 212- 213. وأيضًا: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٦٢- ٦٤، ٧٠.

(244**)**Winslow, Charles, *The Conquest of Epidemic Disease: A Chapter of the History of Ideas,* Princeton & New Jersey, 1944, p. 13, Nutton, From Galen to Alexander, p. 8.

ليس الإسكندر الترالي وحده الذي اعتمد على التعاويذ الدينية في التطبيب، وإنما فعل الأمر نفسه إيتيوس الأميدي، فخلط بعض وصفاته السحرية بالابتهالات الدينية. راجع: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٧٠. وكان مما زاد من تراجع الدور الطبي عدم توفر المستشفيات في الغرب الأوربي. فكانت محدودة، وقد خُصصت في بداياتها لخدمة المسافرين. ومع تراجع المجتمع الحضري في القرن السادس تناقصت هذه المشافي، وكان أكثرها يُبنى في الأديرة، أو أن الدير بمعنى آخر كان من ضمن مهامه أن يتحول إلى مشفى إذا ما اقتضت الضرورة. انظر: سورنيا، تاريخ الطب، ص ٧٢؛

Nutton, From Galen to Alexander, pp. 9- 10; Brodman, James, "Hospitals in the Middle Ages", in *A Companion to the Medieval World*, Op. cit., p. 257.

(245**)**Grégoire de Tours, tom. 1, 5: 14; tom. 2, 7: 25.

(246**)**Grégoire de Tours, tom. 2, 10: 15.

(247**)**Stoclet, Seeking Soccur and Solace, pp. 146- 147.

(٢٤٨) يُرجّح أن المقصود بالعلامة *tau* الحرف التاسع عشر من الإغريقية وهو **τ**، الذي كان له قدسية ومكانة رمزية كبيرة في الثقافات المتوارثة؛ فهو يرمز إلى الحياة أو البعث، وجاء في الإشارات التوراتية القديمة مُعبّرًا عن السمة أو العلامة التي يسم بها الرب عباده التائبين، لينجيهم من الهلاك. (انظر: سفر أيوب، ٣١: ٣٥، وسفر حزقيال، ٩: ٤). وبرزت أهميته في الموروث المسيحي كونه يُشير إلى البعث، وكان من رجال الدين من يخيطه على ردائه منذ القرن الثاني الميلادي، الأمر الذي جعله يأخذ مدلول الصليب في مُخيّلة البعض، واتخذته منظمة الآباء الفرنسيسكان شعارًا لها منذ بدايات القرن الثالث عشر الميلادي. راجع:

Vorreaux, D., Un symbole franciscain, le tau: histoire, theologie et iconographie, Paris, 1977, Encyclopedia of the Middle Ages, ed. A. Vauchez et al., vol. 2, Paris- Chicago- Rome, 2000, p. 1409. والواضح أن جريجوري التوري في روايته قد أراد من مقاصد هذا الحرف السمة التي وردت في التوراة، والحياة التي سوف تُكلل كل من دعا له الأسقف جال.

(249**)**Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, tome 1, 4: 5, idem, *Life of the Fathers*, trans. E. James, Liverpool: Liverpool University, 1985, pp. 57- 58.

(250**)**Gregory of Tours, *Glory of the Confessor*, 78, pp. 795- 796.

(251**)**Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, tome 2, 9: 21.

(252**)**Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, 2, 8: 33.

(253**)**Gregory the Great, *Dialogues*, 4: 37.

(254**)**Grégoire de Tours, *Histoire*, tome 2, 10: 1; Paul Diacre, 3. 24.

(255**)**Jacobus de Voragine, *The Golden Legend: Lives of the Saints*, trans. W. Caxton, Cambridge, 1914, p. 133.

(256**)**Un sermon sur la catastrophe du premier jour, dans: R. Grégoire, *Les homéliaires du moyen âge; inventaire et analyse des manuscrits*, Herder: Rome, 1966, pp. 214- 217.

(257**)**un sermon du deuxième jour, dans: Grégoire, Les homéliaires, pp. 217- 219.

(258**)**un sermon du troisième jour, dans: Grégoire, Les homéliaires, pp. 219- 222.

(259**)**un sermon du quatrième jour, dans: Grégoire, Les homéliaires, pp. 222- 223.

(260**)**Meier, The Justinianic Plague, p. 288.

(261**)***A History of the Councils of the Church*, Ed. Ch. Hefele, vol. 4, Edinburgh, 1895, Articles, 10, 12, 13, 14, 15, 16, 20.

(262**)**Eisenberg & Mordechai, The Justinianc Plague, p. 178.

(263**)**Sallares, Ecology, Evolution, p. 264; Stoclet, Seeking Succor, p. 138.

(264**)**Moorhead, J, Gregory the Great, London- New York: Routledge, 2005, p. 27

(265**)**Markus, Gregory the Great and his World, p. 106.

(266**)**Whalen, Brett, Dominion of God: Christendom and Apocalypse in the Middle Ages, Harvard, 2009, p. 2; Leyser, Conrad, The Memory of Gregory the Great and the Making of Latin Europe (600- 1000 AD), in "Making Early Medieval Societies", pp. 181- 201.

(267)Hen, Yitzhak, "Religious Culture and the Power of Tradition in the Early Medieval West", in *A Companion to the Medieval World*, p. 74.

(268)Hays, Historians and Epidemics, p. 41.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- Adamnan, *Life of St. Columba*, ed. W. Reeves, Edinburgh, 1874.
- Agathias, *Histoires: Guerres et malheurs du temps sous Justinien*, trad. P. Maraval, Paris: les Belles Lettres, 2007.
- Alexander of Tralles, *The Latin Alexander Trallianus: The Text and Transmission of a Late Latin Medical Book*, trans. D. Langslow, London: Society for the Promotion of Roman Studies, 2006.
- Anastasi monachi monti Sinai, *Quaestio* 114, P L, ed. Migne, vol. 89, Paris, 1805.
- *Annales of Ulster: A Chronicle of Irish Affairs*, vol. 1 (AD 431- 1131), Dublin, 1901.
- Anecdota Syriaca, ed. J. Land, Leiden: Brill, 1862.
- Bède le Vénérable, Histoire écclesiastique du people anglaise, trad. P. Monat & P. Robin, Paris: Les Editions du Cerf, 2005.
- *Chronique de Seert: Histoire nestorienne*, pt. 2, trad. A. Scher, Paris, 1950.
- *Conquerors and Chroniclers of Early Medieval Spain*, trans. K. Wolf, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 1999.
- Evagrius Scholasticus, *Ecclesiastical History*, trans. M. Whitby, Liverpool: Liverpool University Press, 2000.
- Grégoire de Tours, *Histoire des Francs*, trad. R. Latouche, Paris: Société d`Edition "les Belles Lettres", 1963- 1965 (tomes 1- 2).
- ----- *Life of the Fathers*, trans. E. James, Liverpool: Liverpool University Press, 1985.
- -----*Glory of the Confessor*, trans. R. Van Dam, Liverpool, 1988.
- Gregory the Great, *Dialogues*, trans. O. J. Zimmerman, Washington: The Catholic University of America Press, 1959.
- Gregorii I papae, *Registrum Epistolarum*, tomes 1- 2, ed. L. Hartmann, Berlin: 1892- 1895.
- *A History of the Councils of the Church*, ed. Ch. Hefele, vol. 4, Edinburgh, 1895.
- Isidore of Seville, History of the kings of the Goths, in *Conquerors and chroniclers of Early Medieval Spain*, trans. K. Wolf, 2nd ed. Liverpool: Liverpool University Press, 1999.
- Itineraria et alia geographica, *Corpus Christianorum series Latina*, vol. 175, Turnhout: Brepols, 1965. (The Piacenza Pilgrim, En. Trans. Andrew S. Jacobs, *http://andrewjacobs.org/translations/piacenzapilgrim.htm*)
- Jacobus de Voragine, The Golden Legend: Lives of the Saints, trans. W. Caxton, Cambridge, 1914.
- John Ephesus, *Lives of the Eastern Saints*, trans. E. Brooks, Paris, 1923- 1925.
- John Ephesus`s Ecclesiastical History, in *The Chronicle of Zuqnin*, pts 3 & 4. A D 488- 775, trans. A. Harrak, Pontificial Institute of Medieval Studies, Toronto, 1999.
- John Malalas, *Chronicle*, trans. E. Jeffreys et. al, Melbourne, 1986.
- Jordanes, *Getica: History of Goths*, trans. Ch. Mierow, New York, 1915.
- Count Marcellinus, *Chronicle*, trans. B. Croke, Sydney: University of Sydney, 1995.
- Leontius of Neapolis, Life of St. John the Almsgiver, in *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver*, trans. E. Dawes, and introductions and notes: N. H. Baynes, London, 1948.
- Liber pontificalis, ed. T. Mommsen, *Gesta Pontificum Romanorum*, vol. 1, Wiesbaden, 1898.
- Marius d'Avenches, *Chronique (455- 581)*, Memoirs et Documents, tome 3, Paris, 1853. (*http://remacle.org/bloodwolf/historiens/marius/chroniques.htm*)
- Paul Diacre, *Histoire des Lombards*, trad. F. Bougard, Turnhout: Brepols, 1994.
- Procopius, *History of Wars*, London: Loeb Classical Library, 1914.

أيضًا: الحروب القوطية، ترجمة: عفاف سيد صبره، مجلدان، القاهرة، ١٩٨٦- ١٩٨٧.

- ------ The Secret History, trans. G. Williamson, London: Penguin, 1969.
- Sermons sur la catastrophe du peste, dans *R. Grégoire, Les homéliaires du moyen âge; inventaire et analyse des manuscrits*, Rome, 1966.
- *The Syriac Chronicle: Known as that of Zachariah of Mitylene*, trans. F. Hamilton & E. Brooks, London, 1899.
- Victoris Tunnunensis, *Chronicon, cum reliquiis ex Consularibus Caesaraugustanis et Iohannis Biclarensis Chronicon*, ed. C. Cardelle de Hartmann et. al., Turnhout: Brepols, 2001.

ثانيًا: المصادر العربية والمُعرّبة:

- أجابيوس المنبجي، (القرن العاشر الميلادي)، كتاب العنوان، بيروت، ١٩٠٧.

- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (ت ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تصحيح ومراجعة: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، ط ٢، بيروت: دار الرائد اللبناني، ١٩٨٣.
- فلافيوس كوريبّوس (ت بعد ٥٦٥م)، ملحمة الحروب الليبية، ترجمة: محمد الطاهر الجراري، طرابلس، ١٩٨٨.
- ميخائيل السرياني (ت ١١٩٩م)، تاريخه الكبير، تعريب: مار غريغوريوس صليبا شمعون، حلب، ١٩٩٦.

ثالثا: المراجع والدوريات الأجنبية:

- Allen, Pauline, "The Justinianic Plague", *Byzantion* 49 (1979). pp. 5- 20
- Antoniou, Ioannis & Sinakos, Anastasios, The Sixth-Century Plague, its Repeated Appearance until 746 AD and the Explosion of the Rabaul Volcano, *Byzantinische Zeitschrift* 98, iss. 1 (2008), pp. 1- 4.
- Atkinson, John, "The Plague of 542: not the birth of the clinic", *Acta Classica* 45 (2002) pp. 1- 18.
- Bachrach, Bernard, *Merovingian Military Organization 481- 751 AD*, Minnesota: University of Minnesota Press, 1972.
- ----- Plague, Population, and Economy in Merovingian Gaul, *Journal of the Australian early medieval association* 3 (2007), pp. 29- 56.
- Baldwin, Barry, "The Career of Corripus", *the Classical Quarterly* 28, no. 2 (1978). pp. 372-376
- Benovitz, Nancy, "The Justinianic Plague: Evidence from the Dated Greek Epitaphs of Byzantine Palestine and Arabia", *Journal of roman archaeology* 27 (2014), pp. 487 - 498
- Biraben, Jean-Noël. *Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens*, tome 1, Paris, 1975.
- Bloch, Marc, "Le problème de l`or au moyen age", *Annales d'histoire économique et sociale*, tome 5, no. 19 (Jan.1933), pp. 1- 34.
- Baldovin, John, *The Urban Character of Christian Worship*, Rome: Pontificio Istituto Orientale, 1987.
- Brandes, Wolfram, "Byzantine Cities in the Seventh and Eighth Centuries, Different sources, Different Histories?" In *The Idea and Ideal of the Town between Late Antiquity and the Early Middle Ages* (Transformation of the Roman World, 4). ed. G. Brogiolo & B. Ward- perkins, Leiden, 1999, pp. 25- 57.
- Bratton, T, "The Identity of the Plague of Justinian (1)", *Transactions and studies of the College of Physicians of Philadelphia*, 3, (2) (Jun. 1981). pp. 113- 24.
- Brodman, James, "Hospitals in the Middle Ages", in *A Companion to the Medieval World*. ed., C. Lansing & E. English, London: Wily-Blackwell, 2009. pp. 257- 275.
- Brown, Peter, *Society and Holy in Late Antiquity*, Berkeley - Los Angeles: University of California Press, 1982.
- ------ *the Rise of Western Christendom: Triumph and Diversity*, A.D. 200-1000 10th ed. London: Blackwell, 1995.
- Cameron, Averil. *The Mediterranean World in Late Antiquity (395- 600 AD)*, New York & London: Routledge, 1993.
- Cohn, Samuel, The Black Death: End of a Paradigm, *The American Historical Review* 107, iss. 3 (June, 2002), pp. 703- 738.
- ------Epidemiology of the Black Death and Successive Waves of Plague, *Medical History, Supplement* 27 (2008), pp. 74- 100.
- Collins, Roger, *Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400–1000*, London, 1983.
- Conrad, Lawrence, "The Plague in Bilād al-Shām in Pre-Islamic Times", in *Proceedings of the Symposium on Bilad Al-Sham During the Byzantine Period*, ed. M. Adnān al-Bakhīt & M. Aṣfūr, Amman, (15- 19 Nov. 1983), pp. 143- 163.
- ------ "Epidemic Disease in Central Syria in the Late Sixth Century: Some New Insights from the Verse of Ḥassān ibn Thābit", *Byzantine and Modern Greek Studies* 18 (1994), pp. 12- 59.
- Cooper, K. & leyser, C. (ed.), *Making Early Medieval Societies: Conflict and Belonging in the Latin West 300- 1200*, Cambridge: Cambridge University Press, 2016.
- Diehl, Charles, *L`Afrique byzantine: Histoire de la domination byzantine*, 2ième ed., New York, 1959.
- Dols, Michael, Plague in Early Islamic History, *Journal of the American oriental Society* 94, no. 3 (Jul. Sept. 1974). pp. 371- 383.
- Duby, Georges, *The Early Growth of the European Economy*, trans. H. Clarke, Ithaca- New York: Cornell University Press, 1974.
- Durliat, J., "La peste du VI siècle: pour un nouvel examen des sources byzantines"*Hommes et richesses dans l`empire byzantin (IVe- VIIe) Siècle*, ed. V. Karavari, C. Morrison, et J. Lefort, Paris, 1989. p. 109-119.
- Effros, Bonnie, *Merovingian Mortuary Archaeology and the Making of the Early Middle Ages*, Berkeley- Los Angeles- London: University of California Press, 2003.
- Eisenberg, Merle & Mordechai, Lee, The Justinianc Plague: An Interdisciplinary Review, *Byzantine and Modern Greek Studies*,42 (2) (Oct. 2019). pp. 156 – 180.
- Evans, James, *The Age of Justinian: The Circumstances of Imperial Power*, New York: Routledge, 1996.
- ------ *The Emperor Justinian and the Byzantine Empire*, Westport: Greenwood Press, 2005.
- Findlay, R. & Lundahl, M., (ed.), "Demographic Shocks and the Factor Proportions Model: From the Plague of Justinian to the Black Death", in *The Economics of the Frontier: Conquest and Settlement*, London: Palgrave, 2016, pp. 125- 172.

- Fouracre, P. & Gerberding, R., *Late Merovingian France: History and Hagiography (64- 720 AD),* Manchester- New York: Manchester University Press, 1996
- Foss, Clive, "Syria in Transition, 550-750: An Archaeological Approach", *Dumbarton Oaks Papers* 51 (1997) pp. 189- 269.
- Gundersen, Ingar, "The Fimbulwinter Theory and the Sixth Century Crisis in the Light of Norwegian Archaeology: Towards a Human-environmental Approach", *Arkeologisk tidsskrift* 21 (Dec. 2019).
- Haldon, John, "The Works of Anastasius of Sinai: A Key Source for the History of 7th Century East Mediterranean Society and Belief", in *The Byzantine and Early Islamic Near East,* ed. A. Cameron & L. Conrad, Princeton & New Jersy: The Darwin Press, INC, 1992. pp. 107- 147.
- ----- "Framing the Early Middle Ages", *Historical Materialism* 19. no.1 (2011) 47-72.
- ----- "Late Rome, Byzantium, and Early Medieval Western Europe", in *Fiscal Regimes and the Political Economy of Premodern States*, ed. A. Monson & W. Scheidel, New York: Cambridge University Press, 2015. pp. 345- 389
- Haldon, J., et al., Plagues, Climate Change, and the End of an Empire: A Response to Kyle Harper's The Fate of Rome (3): Disease, Agency, and Collaps, *Wiley Online Library*, 16, iss.12 (Dec. 2018), pp. 1- 10. https://doi.org/10.1111/hic3.12507.
- Halsall, Guy, *Barbarian Migration and the Roman West (376- 568),* Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2007.
- ------ *Cemeteries and Society in Merovingian Gaul: Selected Studies in History and Archaeology,* Leiden- Boston: Brill, 2009.
- Harper, Kyle, *The Fate of Rome: Climate, Disease, and the End of an Empire*, Princeton: Princeton University Press, 2017.
- Harrison, Dick, "Plague, Settlement, and Structural Change at the Dawn of Middle Ages", *Scandia* 59, no. 1 (1993) pp. 15- 48.
- Hays, Jo, "Historians and Epidemics: Simple Questions, Complex Answers", in *Plague and the End of Antiquity: the Pandemic of 541- 750*, ed. L. Little, Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2007. pp. 33- 58.
- Hen, Yitzhak, "Religious Culture and the Power of Tradition in the Early Medieval West, in *A Companion to the Medieval World*, ed. C. Lansing & E. English, London: Wily-Blackwell, 2009.
- Hirst, Fabian, *The Conquest of Plague: A Study of the Evolution of Epidemiology*, Oxford: Clarendon Press 1953.
- Hodges, Richard & Whitehouse, David, *Mohammed, Charlemagne, and the Origins of Europe: Archaeology and the Pirenne Thesis*, Ithaca- New York: Cornell University Press, 1983.
- ------- Adriatic Sea trade in a European Perspective, *Scottish Archaeological Journal* 32, no. 2 (2010), pp. 95-119.
- Hollingsworth, Thomas, *Historical Demography*, London, 1969.
- Horden, Peregrine & Purcell, Nicholas, *The Corrupting Sea: A Study of Mediterranean History*, New Jersey: Wiley Blackwell, 2000.
- Horden, Peregrine, "Mediterranean Plague in the Age of Justinian", in *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*, ed. M. Mass, Cambridge- New York: Cambridge University Press, 2005. pp 134- 160.
- Innes, Matthew, *State and Society: The Middle Rhine Valley 400- 1000*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
- ------ "Economies and Societies in Early Medieval Western Europe", in *A Companion to the medieval world*, ed., C. Lansing & E. English, London: Wily-Blackwell, 2009. pp. 7- 35.
- James, Edward, "Burial and Status in the Early Medieval West", *Transactions of the Royal Historical Society* 39 (1989), pp. 23- 40.
- Kelly, Kate, *History of Medicine*, vol. 2 (The Middle Ages: 500-1450), New York: Facts on File, Inc, 2009.
- Kennedy, Hugh, "Justinianic Plague in Syria and Archaeological Evidence", in *Plague and the end of antiquity: the pandemic of 541- 750*, ed. L. Little. pp. 87- 95.
- Keys, David, *Catastrophe: An Investigation into the Origins of the Modern World*, New York: Ballantine, 1999.
- Kulikowski, Michael, Plague in Spanish in Late Antiquity", in *Plague and the end of Antiquity: the Pandemic of 541- 750,* ed. L. Little. pp. 150- 170.
- ----- *Late Roman Spain and its Cities*, Baltimore: The John Hopkins University, 2010.
- Le Goff, Jacques, Culture cléricale et traditions folkloriques dans la civilisation mérovingienne, *Annales*, 22- 4 (Ann. 1967), pp. 780-791.
- Le Goff, J., & Biraben, Jean- Nöel, "La peste dans le haute moyen âge", *Annales, Économies. Sociétés. Civilisations* 24, no. 6 (1969). 1484-1510
- Le Goff, Jacques, *Medieval civilization*, trans. J. Barrow, New Jersey: Wily-Blackwell, 1988.
- Leyser, Conrad, "Making Early Medieval Societies: Conflict and Belonging" in *the Latin West 300- 1200*, ed. K. Cooper & C. leyser, Cambridge University Press, 2016. Intro.
- ------ The Memory of Gregory the Great and the Making of Latin Europe (600- 1000 AD), in *the Latin West 300- 1200*, ed. K. Cooper & C. leyser, pp. 181- 201.

- Liebeschuetz, John, *Decline and Change in Late Antiquity: Religion, Barbarians, and their Historiography*, London: Routledge, 2006.
- Little, Lester, "Life and Afterlife of the First Plague Pandemic", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed. L. Little. pp. 3- 32.
- MacArthur, William, "The Identification of Some Pestilences Recorded in the Irish Annals", "*Irish Historical Studies* 6, no. 23 (1949). pp. 169- 188.
- Maddicott, John, "Plague in Seventh- century England", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed. L. Little. pp. 171- 214.
- Marshall, L., Manipulating the Sacred Image and Plague in Renaissance Italy, *Renaissance Italy* 47, no. 3 (1994) pp. 485- 532.
- Markus, Robert, *Gregory the Great and his World*, Cambridge: Cambridge University Press, 1997.
- Masschaele, James, Economic Takeoff and the Rise of Markets, in "*A Companion to the Medieval World*", pp. 87- 110.
- McCormick, Michael, "Bateaux de vie, bateaux de mort. Maladie, commerce, transports annonaires et le passage economique du bas-empire au moyen age", *Centro Italiano di Studi sull'Alto Medioevo* 1 (1998) pp. 35-118.
- -----*Origins of the European Economy: Communications and Commerce A D 300- 900*, Cambridge: Cambridge University Press, 2001.
- ------ "Rats, Communications, and Plague: Toward an Ecological History", *Journal of Interdisciplinary History* 34, iss. 1 (2003), pp. 1- 25.
- ------ Toward a Molecular History of Justinianic Pandemic, in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750,* ed. Little, pp. 290- 312.
- ------"Tracking Mass Death During the Fall of Rome's Empire (I)" "*Journal of Roman Archaeology* 28 (1) (2015), pp. 325- 357.
- ------ "Tracking Mass Death during the Fall of Rome's Empire (II): A First Inventory of Mass Graves", *Journal of Roman Archaeology* 29 (2016). pp. 1004- 1007.
- McNeill, William, *Plagues and Peoples*, New York: Anchors Press, 1976.
- Meier, Mischa, "The Justinianic Plague: The Economic Consequences of the Pandemic in the Eastern Roman Empire and its Cultural and Religious Effects", *Early Medieval Europe* 24 (3) (2016). pp. 267- 292
- ------ "The Justinianic Plague: An inconsequential pandemic? A Reply", *Medizinhistorisches Journal* 55, iss. 2 (June 2020). pp 172- 199.
- Merrills, Andy & Miles, Richard, *The Vandals*, London: Wiley- BlackWell, 2010.
- Metcalf, David, "The Metrology of Justinian follis", *The Numismatic Chronicle and Journal of the Royal Numismatic Society* 20, (1960), pp. 209- 219.
- Middleton, Neil, Early Medieval Port Customs, Tolls and Controls on Foreign Trade, *Early Medieval Europe* 13 (4), (2005). pp. 313- 358
- Miller, T., *The Birth of the Hospital in the Byzantine Empire*, Baltimore- London, 1985.
- Moorhead, John, *Gregory the Great*, London & New York: Routledge, 2005.
- Mordechai, Lee et, al. "The Justinianic Plague: An Inconsequential Pandemic?" *Proceedings of the National academy of sciences of the United states of America* 116, no. 51 (Dec. 2019). *https://doi.org/10.1073/pnas.1903797116*.
- Morony, Michael, "For Whom does the Writer Write? The First Bubonic Plague Pandemic According to Syriac Sources", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., L. Little. pp. 59- 86.
- Nutton, Vivian, From Galen to Alexander: Aspects of Medicine and Medical Practice in Late Antiquity, *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984) pp. 1- 14.
- Périn, P. & K., Michel, "Identity and Ethnicity during the Era of Migrations and Barbarian kingdoms in the Light of Archaeology in Gaul", in *Romans, Barbarians, and the Transformation of the Roman World*, ed. R. Mathisen & D. Shanzer, Farnham: Ashgate, 2011. pp. 299- 329.
- Pieter, F. & Cilliers, L., "The Epidemic of Justinian (A D 542): A Prelude to the Middle Ages", *Acta Theoligica* 26 (2) (2005). pp. 115- 127.
- Pollitzer, Robert, *Plague*, Geneva: World Health Organization, 1954.
- Randsborg, Klavs, *The First Millennium AD in Europe and the Mediterranean: An archaeological Essay*, New York: Cambridge University Press, 1991.
- Rosen, William, *Justinian`s Flea: Plague, Empire and the Birth of Europe*, New York: Penguin Group, 2007.
- Roosen, Joris & Curtis, Daniel, Dangers of Noncritical Use of Historical Plague Data, *Emerging Infectious Diseases*, 24 (1) (2018). pp. 103- 110.

- Rosenberg, Charles, *Explaining Epidemics and other Studies* in the History of the Medicine, Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Reff, D., *Plagues, Priests, Demons: Sacred Narratives and the Rise of Christianity*, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
- Russell, Josiah, "That Earlier Plague", *Demography*, 5, no. 1 (1968). pp. 174- 184.
- Sallares, Robert, "Ecology, Evolution, and Epidemiology of Plague", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., L. Little. pp. 231- 289.
- ------"Disease", in *A Companion to the Mediterranean History*, ed. P. Horden & S. Kinoshita, New Jersey: Wiley Blackwell, 2014, pp. 250- 262.
- Sarris, Peter, "The Justinianic Plague: Origins and Effects", in *Continuity and Change*" 17 (2) (2002). pp. 169 – 182.
- ----- "Bubonic Plague in Byzantium: The Evidence of Non- literary Sources", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, ed., Little. pp. 119- 134.
- Sawyer, Peter, *From Roman Britain to Norman England*, 2nd ed. London- New York: Routledge, 1998.
- Schat, Marjolein, Justinian`s Foreign Policy and the Plague: Did Justinian Create the First Pandemic? 2019 (*Montana.edu/history burg/yersiniaessays*).
- Schultz, Joachim, *The Byzantine Liturgy: Symbolic Structure and Faith Expression*, 2nd ed., New York, 1986.
- Seger, Tapio, The Plague of Justinian and Other Scourges, *Journal of Swidish antiquarian research*, 77, (1982) pp. 184- 194.
- Shrewsbury, John, *A History of Bubonic Plague in the British Isles*, London: Cambridge University Press, 1970.
- Sigerist, Henri, *Civilization and Diseases*, New York: Cornell University Press, 1945.
- Solheim, Steinar & Iversen, Frode, "The Mid-6th Century Crises and their Impacts on Human Activity and Settlements in South-eastern Norway", *Ruralia* 12 (Sept. 2019) pp. 423- 434.
- Stannard, Jerry, "Aspects of Byzantine Materia Medica", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984) pp. 205- 211.
- Stathakopoulos, D., "Crime and Punishment: The Plague in Byzantine empire (541- 749)", in *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541- 750*, Little. 99- 118.
- Stoclet, Alain, "Seeking Succor and Solace in Times of Plague, with Particular Reference to Gaul in the Early Middle Ages", in *Plague and the End of Antiquity 541- 750*, ed. L. Little. pp. 135- 149.
- Thomas, John, *Private Religious Foundations in the Byzantine Empire*, Washington: Dumbarton Oaks Studies, 1987.
- Tommasi, C., "L`héritage de Corippe: entre tradition indirecte et réécriture poétique", dans *Corippe entre deux mondes*, ed. B. Goldlust et al., Lyon, 2015. pp. 347-370.
- Tsiamis, Costas et al. "The Red Sea and the Port of Clysma: A Possible Gate of Justinian`s Plague", *Gesnerus* 66/ 2 (2009), pp. 210- 216.
- Vauchez, A., et al., (ed.), Encyclopedia of the Middle Ages, vol. 2, Paris- Chicago- Rome, 2000.
- Vikan, Gary, "Art, Medicine, and Magic in Early Byzantium", *Dumbarton Oaks Papers* 38 (1984), pp. 65- 86.
- Whalen, B., *Dominion of God: Christendom and Apocalypse in the Middle Ages*, Harvard, 2009.
- Wallace-Hadrill, J., "The Work of Gregory of Tours in the Light of Modern Research", *Transactions of the Royal Historical Society* 1 (1951) pp. 25- 45.
- Ward- Perkins, Bryan, *From Classical Antiquity to the Middle Ages: Urban Public Building in Northern and Central Italy, AD 300-850*, New York: Oxford University Press, 1984.
- Whitby, Michael, "The Church Historians and Chalcedon", in *Greek and Roman Historiography in Late Antiquity: Fourth to Sixth Century AD*, ed., G. Marasco, Leiden & Boston: Brill, 2003. pp. 449- 495.
- Whittow, Mark, *The Making of Orthodox Byzantium, 600-1025* AD, California: University of California Press, 1996
- Wickham, Chris, *Framing the Early Middle Ages: Europe and the Mediterranean 400–800*, Oxford: Oxford University Press, 2005.
- ----- *Medieval Europe*, New Haven: Yale University Press, 2016.
- Winslow, Charles, *The Conquest of Epidemic Disease: A Chapter of the History of Ideas*, Princeton & New Jersey, 1944.
- Wood, Ian, *The Merovingian kingdoms*, London & New York: Longman, 1994.
- Wooding, Jonathan, *Communication and Commerce along the Western Sealanes, AD 400-800*, Sydney: University of Sydney, 1993.

رابعًا: المراجع والدوريات العربية والمُعرَّبَة:

- الجنزوري، علية، جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

- جوتفريد، روبرت. الموت الأسود: جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة وتقديم: عبادة كحيلة، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧.
- رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- سورنيا، جان شارل، تاريخ الطب، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، عالم المعرفة، عدد ٢٨١، الكويت، ٢٠٠٢.
- الشاعر، محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس (عصر جستنيان)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.
- علي، علي السيد، الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر: دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، *المجلة التاريخية المصرية*، عدد ٣٣، ١٩٨٦.
- عمران، محمود سعيد، المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفيس من خلال كتابه تاريخ الفرنجة، جامعة بيروت، ١٩٨٠.
- ---- مملكة الوندال في شمال أفريقيا، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥.
- كانتور، نورمان، العصور الوسطى الباكرة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١، دار عين، القاهرة، ١٩٩٣.
- لوغوف، جاك، هل وُلدت أوربا في العصر الوسيط؟ تعريب: محمد حناوي، ويوسف نكداي، وجدة: مطبعة مُفكر، ٢٠١٥.
- ---- هل يجب حقًا تقطيع التاريخ شرائح؟ ترجمة: الهادي التيمومي، المنامة: هيئة البحرين للكتابة والآثار، ٢٠١٨.
- لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠- ١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠.
- هايد، فلهلم، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.
- هسي، ج، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، القاهرة: دار عين، ١٩٩٧.